تعليم البابا فرنسيس
عن الصلاة

قداسة البابا فرنسيس

بابا الكنيسة الكاثوليكية في العالم

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصلاة

الأربعاء ٦ مايو / أيار ٢٠٢٠

١. سر الصلاة

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

نبدأ اليوم حلقة جديدة من التعليم المسيحي في موضوع الصلاة. الصلاة هي تنفس الإيمان، وهي أنسب تعبير عنه. هي مثل صرخة تخرج من قلب من يؤمن ويسلِّم أمره لله.

لنفكر في قصة بَرطيماوُس، وهو من الأشخاص المذكورين في الإنجيل (را. مر ١٠، ٤٦-٥٢) وأعترف لكم، أنه أظرفهم جميعًا بالنسبة لي. كان أعمى يجلس متسولاً على جانب الطريق في ضواحي مدينته أريحا. إنه ليس شخصية مبهمة، بل له وجه واسم: بَرطيماوُس، أي «ابنُ طيماوُس». سمع يومًا أنّ يسوع قد يمرّ من هناك. في الواقع، كانت أريحا مفترق طرق لجميع الناس، يعبرها باستمرار الحجاج والتجار. لذلك تمركز بَرطيماوُس هناك. وكان مستعدًّا أن يفعل كل شيء ممكن للقاء يسوع.فعل الكثير من الناس الشيء نفسه: نتذكّر زكا، الذي صعِد الى جمَّيزةٍ. أراد الكثيرون رؤية يسوع وأيضًا هو كذلك.

ظهر هذا الرجل في الأناجيل في صورة صوت يصرخ عاليًا. هو لا يرى. ولا يعرف هل كان يسوع قريبًا أم بعيدًا، لكنه يشعر ويدرك ذلك من خلال الجمع، الذي بدأ يزداد ويقترب... لكن بَرطيماوُس كان وحده تمامًا، ولا أحد يهتم به. فماذا فعل؟ أخذ يصيح ويصيح واستمر في الصياح. استخدم السلاح الوحيد الذي بحوزته: صوته. أخذ يصيح: «رُحماكَ، يا ابنَ داود، يا يَسوع!»

(آية ٤٧). وهكذا استمر بالصياح.

صيحاته المتكررة أزعجت الناس، فهي لا تبدو مهذبة. فانتهره الكثيرون، وقالوا له أن يسكت: «بل قالوا له «كن مهذبًا ولا تتصرف هكذا». لكن بَرطيماوُس لم يسكت، بل صاح بصوت أعلى: «رُحْماكَ، يا ابنَ داود، يا يَسوع» (آية ٤٧).هذا العناد جميل جدًا من الذين يبحثون عن النعمة ويطرقون على باب قلب الله. هو صاح وطرق. هذه العبارة: «يا ابنَ داود» مهمّة جدًا. إنها تعني «المسيح». هو أقرّ أنه المسيح. إنه إعلان إيمان يخرج من فم ذلك الرجل الذي يحتقره الجميع.

وسمع يسوع صراخه. صلاة بَرطيماوُس لمست قلبه، قلب الله، فانفتحت له أبواب الخلاص. أمر يسوع بأن يدعوه. فوثب على قدميه وأولئك الذين طلبوا منه من قَبل أن يسكت قادوه الآن إلى المعلم. تحدّث إليه يسوع، وطلب منه أن يعبّر عن رغبته – وهذا مهم – إذّاك أصبح الصراخ طلبًا: «أَن أُبصِر من جديد يا ربّ!» (را. آية ٥١).

قال له يسوع: «اِذهَبْ! إِيمانُكَ خلَّصَكَ» (آية ٥٢). اعترف يسوع لذلك الإنسان الفقير والأعزل والمنبوذ بقوة إيمانه التي جذبت رحمة الله وقدرته. الإيمان هو يدان مرفوعتان، وصوت يصرخ يطلب نعمة الخلاص. يؤكد التعليم المسيحي أنّ «التواضع أساس الصلاة» (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٥٥٩). ترتفع الصلاة من الأرض، من التراب الوضيع، ومنه كلمة مُتواضِع وتواضُع؛ إنها تأتي من هشاشتنا، ومن عطشنا المستمر إلى الله (را. المرجع نفسه، ٢٥٦٠-٢٥٦١).

الإيمان، وقد رأيناه في بَرطيماوُس، هو صرخة. عدم الإيمان هو خنْق هذه الصرخة. هذا الموقف الذي تصرّف به الناس لجعله يسكت لا يشير أنهم أصحاب إيمان، بينما هو نعم. خنق هذه الصرخة هو نوع من «الصمت» على الشر. الإيمان هو اعتراض على حالة مؤلمة لا نفهم سببها؛ عدم الإيمان هو

الاكتفاء بتحمّل حالةٍ قد تكيَّفْنا معها. الإيمان هو رجاء بأن ننال الخلاص. عدم الإيمان هو أن نعتاد الشر الذي يظلمنا والاستمرار هكذا.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، لنبدأ هذه السلسلة من التعليم المسيحي مع صرخة بَرطيماوُس، لأنه لربما كل شيء قِيل وظهر في مثل هذه الشخصية. بَرطيماوُس إنسان مثابر. حوله أناس كانوا يقولون: عبثًا تسأل، أنت تصرخ ولا أحد يجيب. صراخك هو إزعاج فقط، من فضلك توقف عن الصراخ. أما هو فلم يبقَ صامتًا. وفي النهاية حصل على ما أراد.

في قلب الإنسان صوتٌ يتوسل، وهو أقوى من أي حجة معاكسة. جميعنا نملك هذا الصوت في الداخل. صوتٌ يخرج بشكل عفوي، دون أن يأمره أحد، صوتٌ يسأل ما معنى مسيرتنا هنا، خاصةً عندما نجد أنفسنا في الظلام: «ارحمني يا يسوع!ارحمني يا يسوع!». إنها صلاة جميلة هذه.

لكن ألَمْ تُنقش هذه الكلمات في كلّ الخليقة؟ كلّ شيء يتوسل ويتضرّع حتى يجد سرّ الرحمة كماله النهائي. لا يصلي المسيحيون فقط: فهم يشاركون صرخة الصلاة مع جميع الناس، رجالًا ونساءً. وما زال بالإمكان مع ذلك توسيع الأفق: يؤكد بولس أنّ الخليقة جمعاء «تَئِنُّ إِلى اليَومِ مِن آلامِ المَخاض» (روم ٨، ٢٢). غالبًا ما يعبّر الفنانون عن هذه الصرخة الصامتة للخليقة، التي تحثّ كلّ مخلوق من الداخل وتَظهر خاصةً في قلب الإنسان، لأنه «المتسوِّل الدائم أمام الله» (را. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٥٥٩).إنه تعريف جميل للإنسان: «المتسوِّل الدائم أمام الله». شكرًا!

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصلاة

الأربعاء ١٣ مايو / أيار ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

٢. صلاة المسيحي

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

نقوم اليوم بالخطوة الثانية، في مسيرة التعليم المسيحي حول الصلاة التي بدأناها الأسبوع الماضي.

إن الصلاة هي للجميع: لكل إنسان من جميع الأديان، وربما أيضًا لمن لا ينتمون لأيّ دين. تنشأ الصلاة في سرّ أنفسنا، في داخلنا، في المكان الذي غالبًا ما يسمّيه المؤلّفون الروحيون «القلب» (را. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٥٦٢- ٢٥٦٣). فالذي يصلّي فينا ليس شيئًا خارجيًا، ولا طاقة ثانوية أو هامشية، بل هو السرّ الأكثر حميمية فينا. إن هذا السرّ هو الذي يصلّي. العواطف تصلّي، ولكن لا يمكن القول إنّ الصلاة هي مجرّد عاطفة. العقل يصلّي، ولكن الصلاة ليست مجرّد عمل فكريّ. الجسد يصلّي، ولكن يمكن أيضًا التحدث إلى الله حتى في حالة إعاقة جسدية جسيمة. لذلك يصلي الإنسان كله إذا صلّى «قلبه».

الصلاة هي اندفاع، هي توسل يصل إلى أبعد من أنفسنا: هي شيء يولد في أعماق ذاتنا ويرنو إلى ما هو أبعد من ذاتنا، لأنه يشعر بالحنين إلى لقاءٍ.هذا الحنين الذي هو أكثر من حاجة وأكثر من ضرورة: هو الطريق. الصلاة هي

صوت الـ «أنا» الذي يتحسّس طريقه ويستمر في البحث عن الـ «أنت». لا يمكن أن يتم اللقاء بين الـ «أنا» و الـ «أنت» بالآلات الحاسبة: إنه لقاء بشري، ومرّات عديدة نتقدّم ونحن نتحسّس طريقنا حتىٰ نجد الـ «أنت» الذي يبحث عنه الـ «أنا».

أما صلاة المسيحي فتولد من الوحي: الـ «أنت» لم يعُدْ مخفيًّا في السر، بل دخل في علاقة معنا. المسيحية هي الديانة التي تحتفل باستمرار «بظهور» الله، أيبتجليه. الأعياد الأولىٰ في السنة الليتورجية هي الاحتفال بهذا الإله الذي لا يبقىٰ مختبئًا، بل يقدم صداقته للإنسان. كشف الله عن مجده عندما وُلد فقيرًا في بيت لحم، ولما شاهده المجوس، ولما اعتمد في الأردن، وفي أعجوبة عرس قانا الجليل. واختتم إنجيل يوحنا نشيد المقدمة البليغ بتأكيد موجز عن مجد الله: «إنَّ اللهَ ما رآهُ أَحدٌ قطّ، الابنُ الوَحيدُ الَّذي في حِضْنِ الآب هو الَّذي أَخبَرَ عَنه» (١، ١٨). يسوع هو الذي كشف لنا الله.

تدخل صلاة المسيحي في علاقة مع الله بوجهه المليء بالحنان، الذي لا يريد أن يوحي بأي خوف للناس. هذه هي الميزة الأولىٰ للصلاة المسيحية. إذا كان الناس قد اعتادوا دائمًا الاقترابَ من الله مع بعض المهابة والخوف أمام سره الجذاب والرهيب، وإذا اعتادوا تكريم الله بموقف يتسم بالعبودية، مثل مرؤوس لا يريد أنْ يقلل من احترام سيده، فإنّ المسيحيين، عكس ذلك، يخاطبون الله، ويجرؤون علىٰ تسميته «أب» بكلّ ثقة بل ويستخدم يسوع الكلمة الأخرىٰ: «بابا».

أزالت المسيحية، في علاقتها مع الله، كل مفهوم لعلاقة «إقطاعية». لا توجد في تراث إيماننا، عبارات مثل «الخضوع»، أو «العبودية» أو «التبعية»؛ بل كلمات مثل «العهد»، و«الصداقة»، و«الوعد» و«الشركة الروحية» و«القرب». قال يسوع في خطابه الوداعي الطويل لتلاميذه: «لا أَدعوكم خَدَمًا بعدَ اليَوم لِأَنَّ الخادِمَ لا يَعلَمُ ما يَعمَلُ سَيِّدُه. فَقَد دَعَوتُكم أَحِبَّائي لأَنِّي أَطلَعتُكم علىٰ كُلِّ ما

سَمِعتُه مِن أَبي. لم تَختاروني أَنتُم، بل أَنا اختَرتُكم وأَقمتُكُم لِتَذهَبوا فَتُثمِروا ويَبْقىٰ ثَمَرُكم فيُعطِيَكُمُ الآبُ كُلَّ ما تَسأَلونَهُ بِاسمي» (يو ١٥، ١٥- ١٦). أليس هذا صكًا على بياض: «فيُعطِيَكُمُ الآبُ كُلَّ ما تَسأَلونَهُ بِاسمي»!

الله هو الصديق، وشريك العهد، و«العريس». في الصلاة، يمكننا أن نقيم علاقة ثقة معه، لدرجة أن يسوع قد علمنا في صلاة «أبانا» أنْ نتوجه إليه بمجموعة من الطلبات. يمكننا أنْ نطلب من الله كل شيء، كل شيء، وأنْ نشرح له كل شيء، وأنْ نحدثه في كل شيء. لا يهم إذا شعرنا من طرفنا بالخلل في علاقتنا مع الله: وأننا لسنا أصدقاء جيدين، ولسنا أبناء عارفين الجميل، أو لسنا شركاءه المخلصين. مع ذلك فهو يستمر بحبه لنا. هذا ما بَينه يسوع بشكل قاطع في العشاء الأخير، عندما قال: «هذِه الكَأسُ هي العَهدُ الجَديدُ بِدمي الَّذي يُراقُ مِن أَجلِكم» (لو ٢٢، ٢٠). في هذه اللفتة، في علية صهيون، استبق يسوع سر الصليب. الله هو شريك العهد الأمين: إذا توقف الناس عن المحبة، فهو يستمر في حبه، حتىٰ لو قاده الحب إلىٰ الجلجلة. الله دائمًا قريب من باب قلوبنا وينتظر أن نفتحه. وأحيانًا يطرق القلب وينتظر لأنه لا يتعدىٰ. إنّ صبر الله معنا وهو صبر الأب الذي يحبنا كثيرًا. لا بل أقول، إنّه صبر الأب والأم معًا. هو دائمًا قريب من قلوبنا، وعندما يقرع فهو يفعل ذلك بحنان وبكثير من الحب.

لنحاول جميعًا أنْ نصلي هكذا، أنْ ندخل في سر العهد مع الله، وأنْ نصلّي بين ذراعي رحمته، وأنْ نشعر بسر السعادة يغمرنا، سر الحياة الثالوثية، وأنْ نشعر وكأننا المدعوين الذين لم يكونوا مستحقين كلّ هذا التكريم؛ وأنْ نكرر منذهلين أمام الله في صلاتنا: أَمِن الممكن، يا رب، أنك تعرف الحب فقط؟ هو لا يعرف الكراهية. هو مكروه، لكنه لا يعرف الكراهية. هو يعرف الحب فقط. هذا هو الله الذي نصلي له. هذا هو القلب المتّقد لكلّ صلاة مسيحية. إله المحبة هو أبونا الذي ينتظرنا ويرافقنا.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصلاة

الأربعاء ٢٠ مايو / أيار ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

٣. سر الخلق

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

نتابع التعليم المسيحي في الصلاة، ونتأمل اليوم في سر الخلق. فحياتنا، أو مجرّد وجودنا، يفتح قلب الإنسان على الصلاة.

تشبه الصفحة الأولى من الكتاب المقدس نشيدَ شكر عظيم. تتخلل رواية الخلق نغمة متكررة، تؤكد باستمرار على صلاح الخليقة وجمالها. يدعو الله، بكلمته، كل شيء إلى الوجود، وبها ينال كلُّ شيء وجودَه. بالكلمة، يفصل الله الضوء عن الظلام، ويتعاقب الليل والنهار، وتتناوب الفصول، ويخلق لوحة من الألوان عبر تنوّع النباتات والحيوانات. وفي هذه الغابة المليئة التي سرعان ما هزمت الفوضى، يظهر الإنسان في الختام. وينجم عن هذا الظهور مزيد من الابتهاج، فيفيض الرضى والفرح: «ورأَى اللهُ جَميعَ ما صَنَعَه فاذا هو حَسَنٌ جِدًّا» (تك ١، ٣١). شيء جيد، بل جميل أيضًا أن نرى جمال الخليقة كلها!

سرُّ الخلق وجماله يولِّدان في قلب الإنسان أوَّلَ دافع يبعث على الصلاة (را. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٥٦٦). هذا ما يقوله المزمور الثامنالذي سمعناه في البداية: «عِندَما أرى سَمَواتِكَ صُنعَ أَصابِعِكَ والقَمَرَ والكَواكِبَ الَّتي ثبتَّها، ما الإِنْسانُ حَتَّى تَذكُرَه وٱبنُ آدَمَ حَتَّى تَفتَقِدَه؟»

(الآيات ٤- ٥). يتأمل المصلي في سرّ الوجود من حوله، ويرى السماء المرصعة بالنجوم من فوقه - والتي يُظهرها لنا اليوم علم الفلك بكلّ عظمتها - ويتساءل أي مخطط حب أوجد هذا العمل القدير! ... وفي هذه الرحابة التي لا حد لها، ما هو الإنسان؟ «لا شيء تقريبًا» يقول مزمور آخر (را. ٨٩، ٤٨): هو كائن يولد ثم يموت، وهو مخلوق ضعيف للغاية. ومع ذلك، ففي الكون كله، الإنسان هو الخليقة الوحيدة الذي يدرك هذا الجمال الكثير. هو كائن صغير يولد ثم يموت، اليوم هو موجود وغدًا لا، هو الوحيد الذي يدرك هذا الجمال. نحن على دراية بهذا الجمال!

ترتبط صلاة الإنسان ارتباطًا وثيقًا بالدهشة. إنّ حجم الإنسان ضئيل جدًا عند مقارنته بحجم الكون. أعظم إنجازاته تبدو شيئًا قليلًا جدًا... لكن الإنسان ليس عدمًا. في الصلاة، يسيطر عليه بقوة شعور بالرحمة. لا شيء يوجد صدفة: فسِرُّ الكونِ يكمُنُ في نظرةٍ، ملؤها الرحمة، يلقاها أحدهم في أعيننا. يؤكد المزمور على أننا خلقنا أقل بقليل من الله، وكُللنا بالمجد والكرامة (را. ٨، ٦). العلاقة مع الله هي عظمة الإنسان: إنها تتويجه. بحسب طبيعتنا نقارب العدم، نحن صغارٌ لكن، من حيثُ دعوتنا، فنحن أبناء الملك العظيم!

كثيرون منا مروا بالخبرة التالية: عندما توشك ظروف الحياة، بكل مراراتها، أن تخنق فينا نعمة الصلاة، يكفي التأمل في السماء المرصعة بالنجوم، أو في غروب الشمس، أو في زهرة... لإيقاد شرارة الشكر فينا. ربما كانت هذه الخبرة هي الأساس في كتابة الصفحة الأولى من الكتاب المقدس.

عندما كُتِبَت رواية الخلق العظيمة في الكتاب المقدس، لم يكن شعب إسرائيل يَمُرُّ بأيام سعيدة. كانت قوة معادية قد احتلت الأرض. وذهب العديد منهم إلى الجلاء، فأصبحوا عبيدًا في بلاد ما بين النهرين. لم يعد هناك وطن، ولا هيكل، ولا حياة اجتماعية ودينية، ولا شيء.

ومع ذلك، انطلاقًا من رواية الخلق العظيمة، بدأ أحدهم يرى أسبابًا للشكر، وأخذ يسبّح الله على نعمة الوجود. الصلاة هي القوة الأولى التي تسند الرجاء. أنت تصلي والرجاء ينمو ويسير قدمًا. لا بل أقول إن الصلاة تفتح الباب للرجاء. الرجاء موجود، ولكن بصلاتي أنا أفتح له الباب. لأنّ الأشخاص المصليين يحافظون على الحقائق الأساسية؛ وهم الذين يكررون، أولاً وقبل كل شيء لأنفسهم ثم لجميع الآخرين، أنّ هذه الحياة، على الرغم من جميع شدائدها وتجاربها، على الرغم من أيامها الصعبة، إنما هي مليئة بنعمة تحملنا على الإعجاب والاندهاش. لذلك يجب دائمًا الدفاع عنها وحمايتها.

يدرك الرجال والنساء الذين يُصّلون أنّ الرجاء أقوى من اليأس. ويؤمنون أنّ الحب أقوى من الموت، وأنه سينتصر بالتأكيد يومًا ما، ولو في أوقات وطرق نحن لا نعرفها. الرجال والنساء الذين يصَلُّون يحملون في وجوههم انعكاسًا لومضاتِ النور: لأنه حتى في أحلك الأيام، لا تتوقف الشمس عن إنارتهم. الصلاة تنيرك: تنير نفسك وقلبك ووجهك، حتى في أحلك الأوقات، وفي أوقات الألم الكبير.

كلّنا حاملو الفرح. هل فكرت بهذا الأمر؟ بأنك حامل الفرح؟ أم أنك تفضل أن تحمل الأخبار السيئةالتي تُحزن؟ جميعنا قادرون على حمل الفرح. وهذه الحياة هي الهبة التي قدمها الله لنا. وهي قصيرة جدًا فلا يجوز أن نبددها في الحزن والمرارة. لنُسَبِّحْ الله، ونحن سعداء، بكل بساطة، لأننا موجودون. لننظر إلى الكون، ولننظر إلى جماله ولننظر أيضًا إلى صلباننا ولنقل: «إنما، أنت موجود، وخلقتنا هكذا من أجلك». من الضروري أن نشعر بقلق القلب الذي يحملنا إلى شكر الله وحمده. نحن أبناء الملك العظيم والخالق، القادرين على قراءة ختمه في كل الخليقة التي نحن اليوم لا نحرسها، مع أنّ في هذه الخليقة يوجد ختم الله الذي صنعه بدافع من المحبة. ليجعلنا الربّ نفهم هذا بشكل أكثر عمقًا دائمًا وليساعدنا أن نقول «شكرًا»: لأن كلمة شكرًا هي صلاة جميلة.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصلاة

الأربعاء ٢٧ مايو / أيار ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

٤. صلاة الأبرار

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

في تعليم اليوم، أتكلم على صلاة الأبرار.

إن تدبير الله للبشرية كلّه صلاح، لكننا نختبر في حياتنا اليومية وجود الشر: إنها خبرة يومية. تصف الفصول الأولى من سفر التكوين دخول الخطيئة بصورة تدريجية في حياة البشرية. شكّك آدم وحواء (را. تك ٣، ١-٧) في نوايا الله الصالحة، واعتقدا أنّهما يتعاملان مع إله حاسد يمنع سعادتهما. ومن هنا ظهر فيهما التمرد: لم يؤمنا بإله خالق كريم يريد سعادتهما. فقبلا في قلبهما إغراء الشرير، وسيطر عليهما هذيان العظمة: «يَوم تأكُلانِ من ثمرة الشجرة تَصيرانِ كآلِهَةٍ» (را. آية ٥). وهذا هو الإغراء: هذا هو الطمع الذي يدخلفي القلب. لكن التجربة سارت في الاتجاه المعاكس: «فانفتحت أَعيُنُهما فعَرَفا أَنَّهما عُريانان» (آية ٧)،بلا شيء. لا تنسوا هذا: المجرب لا يدفع ما يعد به، لا يسدد.

يزداد الشر تدميرًا مع الجيل الثاني للبشرية، ويشتد في حادثة قايِن وهابيل (را. تك ٤، ١-١٦). غار قايِن من أخيه، كان هنالك دودة الحسد، وعلى الرّغم من كونه البكر، رأى في هابيل خصمًا له، يهدِّد أولويته. ظهر الشر في قلبه ولم يستطع قاين السيطرة عليه. يبدأالشر يدخل القلب: تدور الأفكار دائمًا حول

النظرة السيئة التي نلقيها على الآخر، بتشكّك. وهذا يحدث أيضًا مع التفكير التالي: «هذا الشخص سيئ، سوف يؤذيني». وهذا التفكير يدخل في القلب... وهكذا تنتهي رواية الأخوّة الأولى بالقتل. أفكر اليوم في الأخوّة الإنسانية.... الحروب في كل مكان.

ثم تطورت، في سُلالة قايِن، الحِرف والصناعات، ولكن تطور العنف أيضًا، الذي عَبَّر عنه نشيد لامَك المشؤوم، والذي يَصدح مثل نشيد انتقام: «إِنَّني قَتَلتُ رَجُلاً بِسَبَبِ جُرحٍ ووَلَدًا بِسَبَبِ رَضٍّ. إِنَّه يُنتَقَمُ لِقايِنَ سَبعَةَ أَضعاف وأَمَّا لِلامَكَ فَسَبْعَةً وسَبْعين» (تك ٤، ٢٣- ٢٤). الانتقام: «لقد فعلته وستدفع الثمن». ولكن هذا لا يقوله القاضي، بل أقوله أنا. وأنا أقيم ذاتي حاكما على الوضع. وهكذا انتشر الشر مثل بقعة زيت، حتى شمل كل الأرض: «ورأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنسانِ قد كَثُرَ على الأَرض وأَنَّ كُلَّ ما يَتَصوَّرُه قَلبُه مِن أَفْكار إِنَّما هو شَرٌّ طَوالَ يَومِه» (تك ٦، ٥). وتُظهِر مشاهد الطَّوَفان الشامل (الفصلان ٦ و٧) وبرج بابل (الفصل ١١) أنّ هناك حاجة لبداية جديدة، مثل خلق جديد. وهذا سيتحقَّق في يسوع المسيح.

ومع ذلك، في هذه الصفحات الأولى من الكتاب المقدس، كُتبت قصة أخرى أيضًا، أقل وضوحًا، وأكثر تواضعًا وورعًا، تمثّل افتداء الرجاء. حتى لو تصرف الجميع تقريبًا بطريقة وحشية، جاعلين من الكراهية والاستيلاء المحرك الكبير لتاريخ البشرية، فهناك أناس قادرون على الصلاة إلى الله صلاةً صادقة، وقادرون أن يكتبوا مصير الإنسان بطريقة مختلفة. مثل هابيل الذي قدم لله ذبيحة البواكير. بعد موته، أنجب آدم وحواء ابنًا ثالثًا، وهو شِيت، ومنه وُلد أنوش (الذي يعني «فانٍ») وقال الكتاب: «حينَئِذٍ بَدَأَ النَّاسُ يَدْعونَ بِاسمَ الرَب» (٤، ٢٦). ثم ظهر أَخْنوخُ، وهو شخصية «تسير مع الله» وهو الذي خُطف إلى السماء (را. ٥، ٢٢. ٢٤). وأخيرًا جاءت رواية نوح، الرجل البّار الذي «سار مع الله» (٦، ٩)، ومعه ومن أجله تراجع الله عن قصده في محو

البشرية (را. ٦، ٧– ٨).

عند قراءة هذه الروايات، ينشأ فينا انطباع بأنّ الصلاة هي السد والملجأ للإنسان أمام موجة الشر العارمة التي تنمو في العالم. وإن دققنا في أنفسنا، وجدنا أننا نصلي أيضًا لكي نُخلص أنفسنا من أنفسنا.من المهم أن نصلي: «يا رب، أرجوك خلصني من نفسي ومن طمعي ومن هيامي». المصلون في الصفحات الأولى من الكتاب المقدس هم رجال صانعو سلام: في الواقع، الصلاة، عندما تكون صادقة، فإنها تحرر من غرائز العنف، وهي نظرة موجهة إلى الله، حتى يعود هو ويعتني بقلب الإنسان. ونقرأ في التعليم المسيحي: «نوعية الصلاة هذه يعيشها جمهور من الأبرار في كل الديانات» (التعليم المسيحي الكاثوليكي، ٢٥٦٩). تزرع الصلاة شتلات تجدد حيث استطاعت كراهية الإنسان أن توسع التصحر.والصلاة قادرة، لأنها تستمطر قوة الله التي تعطي دائمًا الحياة: دائمًا. إنه إله الحياة الذي يحي.

لهذا، فإن سيادة الله تمر عبر سلسلة هؤلاء الرجال والنساء، الذين غالبًا ما يتعرضون لسوء الفهم أو للتهميش في العالم. لكن العالم يعيش وينمو بفضل قوة الله التي يستمطرها هؤلاء الخدّام بصلاتهم. هم سلسلة من الرجال والنساء، يعملون بلا صخب أو ضجيج، ونادراً ما يظهرون في العناوين الرئيسية في الإعلام، لكنهم مهِمُّون جدًا لإرجاع الثقة إلى العالم!أذكر قصة رجل: رئيس حكومة، كان مهمًا، ليس في هذا الزمن، لكن في الزمن الماضي. كان ملحدًا ولم يكن له حس ديني في قلبه، ولكن عندما كان طفلاً سمع جدته تصلي، وبقي هذا في قلبه. وفي لحظة صعبة من حياته، عادت تلك الذاكرة إلى قلبه وكانت تذكره: «لكن الجدة كانت تصلي...». وهكذا شرع في الصلاة بصيغ جدته وفيها وجد يسوع. الصلاة هي دائما سلسلة من الحياة: كثير من الرجال والنساء الذين يصلون يزرعون الحياة. الصلاة تزرع الحياة، وأيضًا الصلاة الصغيرة: لهذا السبب من المهم جداً تعليم الأطفال أن يصلّوا. يؤلمني عندما أجد أطفالا

لا يعرفون أن يرسموا إشارة الصليب. يجب أن نعلمهم أن يرسموا جيدًا إشارة الصليب، لأنها الصلاة الأولى. من المهم أن يتعلم الأطفال أن يصلّوا. ثم، ربما، من الممكن أن ينسوا، وأن يتخذوا طريقًا آخر؛ لكن الصلوات الأولى التي يتعلمها الطفل تبقى في القلب، لأنها تكون بذرة الحياة، بذرة الحوار مع الله.

إنّ طريق الله في تاريخه قد مرّ من خلالهم. لقد مرّ من خلال «بقية» من البشرية لم ترضَ بشريعة الأقوى، بل طلبت إلى الله أن يتم معجزاته، وقبل كل شيء أن يبدّل فينا قلب الحجر بقلب من لحم (را. حز ٣٦، ٢٦). وهذا يساعد الصلاة: لأن الصلاة تفتح الباب أمام الله، وتحول قلبنا الذي غالبًا ما يكون من حجر، إلى قلب بشري. وهذا يتطلب الكثير من الإنسانية، لأنه معها نصلي جيدًا.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصلاة

الأربعاء ٣ يونيو / حزيران ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

٥. صلاة إبراهيم

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

صوتٌ دوّىٰ فجأةً في حياة إبراهيم. صوتٌ دعاه إلىٰ الانطلاق في طريق غريبة لم يرَ فيها معنىٰ. دعاه الصوتُ إلىٰ اقتلاع نفسه من وطنه، ومن جذور عائلته، للذهاب إلىٰ مستقبل جديد ومختلف. وكل ذلك بِناءً علىٰ وعد من الله، كان علىٰ إبراهيم أن يثق به فقط. أن تثق في وعد ليس بأمرٍ سهل، فهذا يتطلب الشجاعة. وآمن به إبراهيم فمضىٰ.

لم يذكر الكتاب المقدس شيئا عن ماضي ابراهيم أبي الآباء. إلا أن منطق الأمور يفترض أنه كان يعبد آلهة أخرىٰ. ربما كان رجلًا حكيمًا معتادًا أن يتفحّص السماء والنجوم. في الواقع، وعده الله أنّ يكثِّرَ نسله مثل النجوم المتلألئة في السماء.

وانطلق إبراهيم. أصغىٰ إلىٰ صوت الله ووضع ثقته في كلمته.هذا مهم: وضع ثقته في كلمة الله. وبهذا الانطلاق، وُلدت طريقة جديدة لإدراك العلاقة مع الله. ولهذا السبب نجد أبانا إبراهيم حاضرًا في التقاليد الروحية الكبرىٰ، اليهودية والمسيحية والإسلام، كرجل الله الكامل، والقادر علىٰ طاعة الله، حتىٰ عندما تبدو مشيئة الله صعبة، أو حتىٰ غير مفهومة.

ولذلك إبراهيم هو أيضًا رجل الكلمة. عندما يتكلم الله، يصبح الإنسان مستقبِلًا لهذه الكلمة وتصبح حياته المكان الذي فيه تَطلب الكلمة أن تتجسد. هذا أمر جديد هام في المسيرة الدينية للإنسان: بهذا نبدأ نفهم حياة المؤمن بأنها دعوة، أي نداء، وبمثابة مكان يتحقق فيه الوعد. وهو يتحرك في العالم، ليس مثقلًا بلغز لا يفهمه، بل مندفعًا بقوة هذا الوعد الذي سيتحقق يومًا. وآمن إبراهيم بوعد الله. آمن فمضى، دون أن يعرف أين كان يذهب، هكذا تقول الرسالة إلى العبرانيين (را. ١١، ٨). لكنه وثق.

عند قراءة سفر التكوين، نكتشف كيف عاش إبراهيم الصلاة في الأمانة المستمرة لتلك الكلمة، التي كانت تظهر بصورة دائمة في أثناء طريقه. باختصار، يمكننا القول إنّ الإيمان في حياة إبراهيم أصبح تاريخًا. الإيمان أصبح تاريخًا. لا بل ان إبراهيم يعلمنا، بحياته وبمثاله، هذا الطريق وهذا النهج الذي عليه أصبح الإيمان تاريخًا. لم يعد الله يُرى فقط في الظواهر الكونية، مثل إله بعيد يمكنه أن يبثّ الذعر. إله إبراهيم أصبح «إلهي»، إلهَ تاريخي الشخصي، الذي يقود خطواتي، والذي لا يتخلى عني؛ وإله أيامي، ورفيق مغامراتي؛ والإله العناية الإلهية. أتساءل وأسألكم: هل نملك خبرة الله هذه؟ «إلهي» هو الإله الذي يرافقني، وإله تاريخي الشخصي، والإله الذي يقود خطواتي، والذي لا يتخلى عني، وإله أيامي؟ هل نملك هذه الخبرة؟ لنفكر قليلًا في ذلك.

يشهد على خبرة إبراهيم هذه أيضًا أحد النصوص الأكثر أصالة في تاريخ الروحانية وهو مذكرات بليز باسكال. تبدأ هكذا: «إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب، ليس إله فلاسفة وعلماء. هو يقين. يقين. وهو إحساس. وفرح. وسلام. هو إله يسوع المسيح». هذه المذكرة، المكتوبة على مخطوطة صغيرة، وُجدت بعد وفاته، وكانت مخيطةً داخل ثوب من ثياب الفيلسوف، لا تعبّر عن تفكير ذهني يمكن لإنسان حكيم مثله أن يفكره عن الله، ولكنها تعبر عن الحس الحي الذي اختبره من خلال حضور الله. وقد سجل باسكال حتى

اللحظة الدقيقة التي شعر فيها بهذه الحقيقة، بعد أن التقاها أخيرًا في مساء ٢٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٦٥٤.الله ليس الإله المجرّد أو الكوني، لا. هو إله شخص، وإله دعوة، وإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والإله الذي هو يقين وإحساس وفرح.

«صلاة إبراهيم تظهر أولًا في الأعمال: فهو رجل الصمت، وفي كل مرحلة يبني مذبحًا للرب» (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٥٧٠). لم يَبنِ إبراهيم معبدًا، لكنه وضع علامات على الطريق، حجارةً تُذكّر بعبور الله. إله يفاجئ، كما حدث عندما زار إبراهيم في صورة الضيوف الثلاثة، فرحّب بهم ابراهيم وسارة ترحيبًا حارًّا. وقد بشرهما الضيوف بولادة ابنهما إسحاق (را. تك ١٨، ١-١٥).كان إبراهيم ابن مئة سنة، وزوجته ابنة التسعين السنة تقريبًا. لقد آمنا ووثقا بالله، فحبلت سارة زوجته. في هذه السن! هذا هو إله إبراهيم وإلهنا الذي يرافقنا.

وهكذا أصبح إبراهيم خليل الله، قادرًا أيضًا أن يجادله، ولكنه دائمًا أمين. يتحدث مع الله ويجادل. حتى في الاختبار الأسمى والأصعب، عندما طلب منه الله أن يضحيَ بابنه إسحاق، ابن الشيخوخة والوريث الوحيد. هنا عاش إبراهيم الإيمان كمأساة، مثل من يسير متلمِّسًا طريقه، في الليل، وتحت سماء، في هذه المرة، خالية من النجوم. وفي كثير من الأحيان يحدث لنا أيضًا أن نسير في الظلام، ولكن بإيمان. لكن الله نفسه سيوقف يد إبراهيم المستعد بالفعل لذبح ابنه، لأنه رأى استعداده الكامل لطاعته (را. تك ٢٢، ١-١٩).

إخوتي وأخواتي، لنتعلم من إبراهيم أن نصليَ بإيمان: أن نصغيَ للربّ، وأن نسير، وأن ندخل في حوار وحتى أن نجادل. لا نخافنّ من أن نجادل الله! سأقول أيضًا شيئًا يبدو بدعة. لقد سمعت عدة مرات أناسًا يقولون لي: «أتعلم، حدث هذا لي وغضبت من الله» - «هل كانت لديك الشجاعة أن تغضب من الله؟» - «نعم، لقد غضبت» - «لكن هذا شكل من أشكال

الصلاة». لأن وحده الابن يقدر أن يغضب من والده ومن ثم أن يلقاه مجددًا. لنتعلم من إبراهيم أن نصلي بإيمان، وأن ندخل بحوار وأن نجادل، ولكن أن نكون على استعدادٍ دائم لاستقبال كلمة الله وتنفيذها.لنتعلم أن نتحدث مع الله مثلما يتحدث الابن مع والده: أن نصغي إليه وأن نجيب وأن نجادل. لكن بشفافية، مثل الابن مع والده. هكذا يعلمنا إبراهيم أن نصلي. شكرًا.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصلاة

الأربعاء ١٠ يونيو / حزيران ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

٦. صلاة يعقوب

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

نتابع التعليم المسيحي في موضوع الصلاة. يروي لنا سفر التكوين، من خلال أحداث رجال ونساء من العصور القديمة، عن قصص يمكننا أن نرى فيها وكأنها مرآة لحياتنا. في دائرة الآباء نجد الرجل الذي جعل من الخدعة والمهارة أفضل مواهبه. إنّه يعقوب. يروي لنا الكتاب المقدس عن العلاقة الصعبة بين يعقوب وأخيه عيسو. منذ كانوا صغارًا، كان بينهما تنافس، ولن يتخطوا هذا التنافس فيما بعد. يعقوب هو الابن الثاني – كانا توأمان – لكن بالخداع تمكن من أخذ نعمة البكوريّة وبركة والده إسحاق (را. تك ٢٥، ١٩-٣٤). إنّها فقط أوّل حيلة في سلسلة من الحيل الكثيرة التي أستطاع أن يقوم بها هذا الرجل القدير والمتحرر من كل القيود. حتى اسم «يعقوب» يعني من يتمتع بالمهارة في الحركة.

أُجبر على الفرار من وجه أخيه، ويبدو أنّه نجح في حياته في كل مساعيه. إنّه ماهر في العمل: فاغتنى وأصبح صاحب ماشية كثيرة. بعناده وصبره تمكن من الزواج من أجمل بنات لابان، التي أحبّها حبًّا شديدًا. يعقوب – يمكن أن نقول بلغتنا الحديثة – هو رجل «صنع نفسه بنفسه»، وبمهارته وبراعته تمكن

من اكتساب كل ما أراد. ولكن كان ينقصه شيئًا ما. كان يفتقر إلى العلاقة الحية مع جذوره.

وسمع يومًا نداء البيت، وطنِه القديم، حيث كان عيسو ما زال يعيش، وهو أخوه الذي كان دائما على علاقة سيئة معه. انطلق يعقوب وقام برحلة طويلة مع قافلة كبيرة من الناس والحيوانات، حتى وصل إلى المحطة الأخيرة، في وادي يَبُّوق. هنا يقدم لنا سفر التكوين صفحة بليغة لا تُنسَى (را. ٣٢، ٢٣-٣٣). يروي سفر التكوين أنّ أبانا يعقوب، بعد أن جعل كل مرافقيه وكل الماشية يعبرون الوادي، وكانوا كثيرين، بقي وحده على الضفة الغِربية وأخذ يفكر في ما ينتظره في غداة اليوم التالي؟ ماذا سيكون موقف أخيه عيسو الذي سرق منه البكوريّة؟ كان في ذهنه زوبعة من الأفكار... وفجأة مع حلول الظلام، أمسك به رجلٌ مجهول وبدأ يصارعه. يقول كتاب التعليم المسيحي: «رأى التقليد الكنسي في هذه الرواية رمزًا للصلاة، على أنها معركة الإيمان، وانتصار الثبات» (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٥٧٣).

صارع يعقوب طوال الليل، ولم يترك خصمه ينصرف. في النهاية هُزِم، إذ ضربه خصمُه في حُقّ وَرِكِه، ومنذ ذلك الحين سيصبح أعرجَ مدى الحياة. سأل ذلك المصارع المجهول يعقوب عن اسمه وقال له: «((لا يَكونُ اسمُكَ يعقوبَ في ما بَعْد، بل إِسْرائيل، لأَنَّكَ صارَعتَ اللهَ والنَّاسَ فغَلَبتَ))» (آية ٢٩). وكأنه يقول: لن تكون أبداً الرجل الذي يسير هكذا، بل الرجل المستقيم. غيّر الله له اسمه وحياته وسلوكه؛ «سوف تُدعى إسرائيل». ثم سأله يعقوب: «((عَرِّفْني اَسمَكَ))». لكنه لم يكشف له عن اسمه، بدل ذلك باركه. فأدرك يعقوب أنه قابل الله «وجْهاً إلى وجْه» (را. الآيات ٣٠- ٣١).

مصارعة الله: هذه صورة مستعارة للصلاة. في أوقاتٍ أخرى، ظهر يعقوب قادرًا على الحوار مع الله، والشعور به حاضرًا حضورَ صديقٍ وقريب. ولكن في تلك الليلة، من خلال صراعٍ استمر فترةً طويلة وجعله يستسلم تقريبًا،

خرج يعقوب متغيرًا. تغيّر اسمه وأسلوب عيش حياته وشخصيته. لقد خرج متغيرًا. لمرّة واحدة، لم يعد سيد الموقف، لم تعد مهارته تفيد، ولم يعد الرجل الماهر وصاحب الخطط. أعاده الله إلى حقيقته: إنسانٌ فانٍ يرتعد ويخاف، لأن يعقوب كان خائفًا عندما صارع الله. لمرّة واحدة، لا يملك يعقوب ما يقدمه لله سوى ضعفه وعجزه وأيضًا خطاياه. هذا هو يعقوب الذي نال البركة من الله، وبها دخل أرض الميعاد وهو يعرج: كان ضعيفًا ومجروحًا، ولكن بقلب جديد. مرةً سمعت رجلاً عجوزاً يقول – كان رجلًا صالحا، ومسيحيا صالحا، ولكن خاطئًا يثق بالله للغاية-: «الله سيساعدني. لن يتركني لوحدي. سأدخل الفردوس، وأنا أعرج، ما زلت أعرج لكنني سأدخل. في الماضي، كان يعقوب واثقًا من نفسه، ومعتمداً على مهارته. كان رجلاً مُغلقًا دون النعمة، ومقاومًا للرحمة.لم يكن يعرف ما هي الرحمة. «أنا هنا، وأنا أحكم!»، لم يعتقد أنه بحاجة إلى الرحمة. لكن الله أنقذ ما كان ضائعًا. لقد جعله الله يفهم أنّه محدود وخاطئ وانّه بحاجة للرحمة وخلّصه.

لنا جميعًا موعدٌ في الليل مع الله، في ليلة حياتنا، في ليالي حياتنا العديدة: في لحظات مظلمة، وفي لحظات الخطايا، وفي لحظات الضياع. فيها دائمًا موعد مع الله. سوف يفاجئنا في لحظة لا نتوقعها، وسنجد أنفسنا فيها وحدَنا حقًا. في تلك الليلة نفسها، سنقاتل المجهولَ، وسندرك أننا لَسْنا سوى أناس فقراء. أسمح لنفسي أن أقول إننا مساكين. ولكن، في ذلك الوقت، في اللحظة التي نشعر فيها أننا مساكين، يجب ألا نخاف: لأن الله في تلك اللحظة سيعطينا اسمًا جديدًا، يتضمَّن معنى حياتنا كلها، وسيغيّر قلبنا، وسيعطينا بركة مخصصة لمن يترك نفسه تتبدَّل بنعمة الله.إنها دعوة جميلة لكي نسمح لله أن يغيّرنا وهو يعرف كيف يقوم بذلك لأنّه يعرف كلّ واحد منا. «يا ربّ، أنت تعرفني»، يمكن لكل واحد منا أن يقوله. «يا ربّ، أنت تعرفني. غيّرني».

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصلاة

الأربعاء ١٧ يونيو / حزيران ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

٧. صلاة موسى

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

في مسيرتنا في موضوع الصلاة، رأينا أنّ الله لا يحب أن يتعامل مع مؤمنين «ذوي طباع سهلة». كذلك، كان موسى، منذ أول يوم دعاه فيه الله، لم يكن محاورًا «سهلًا».

عندما دعاه الله كان موسى رجلًا «فاشلًا» بحسب الاعتبارات البشرية. قدَّمه سفر الخروج على أنّه رجل هارب في أرض مِديَن. عندما كان شابًا أحس بالشفقة على شعبه، ووقف إلى جانب المظلومين ودافع عنهم. ولكنه اكتشف سريعًا أنّه على الرغم من نواياه الحسنة، لم يصدر منه العدل إنما العنف. هكذا تحطمت فيه أحلام المجد: لم يعد موسى موظفًا ناجحًا، بل فوّت فرص النجاح. والآن يرعى ماشيةً ليست له. وفي صمت صحراء مِديَن، دعا الله موسى من وسط عليقة مشتعلة، وجعله مستقبِلًا للوحي. قال له: «أَنا إِلهُ أَبيكَ، إِلهُ إِبْراهيم وإِلهُ إِسحق وإِلهُ يَعْقوب. فسَتَرَ موسى وَجهَه لأَنَّه خافَ أَن يَنظُرَ إِلى الله» (خر ٣، ٦).

كلَّمه الله ودعاه من جديد لقيادة شعب إسرائيل. فعارضه موسى مبيِّنًا مخاوفه واحتجاجاته: قال إنّه لا يستحق هذه الرسالة، ولا يعرف اسم الله،

ولن يصدقه الإسرائيليون، ولسانه ثقيل... وهكذا الكثير من الاحتجاجات. الكلمة التي تتكرر غالبًا على فم موسى، في كل صلاة يوجهها إلى الله، هي السؤال: «لماذا؟». لماذا أرسلتني؟ لماذا تريد تحرير هذا الشعب؟ يوجد في الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم فقرة فيها مواجهة شديدة بين الله وموسى، حيث وبّخ الله موسى لعدم ثقته، ولذلك سيمنعه من دخول أرض الميعاد (را. عد ٢٠، ١٢).

بهذه المخاوف، ومع هذا القلب المتردد مرارًا، كيف يستطيع أن يصلّي موسى؟ في الواقع، بدا موسى انسانًا مثلنا. وهذا يحدث لنا أيضًا: عندما يكون لدينا شكوك، فكيف يمكننا أن نصلّي؟ لسنا قادرين أن نصلّي. وما يستوقفنا في موسى هو ضعفه، وليس قوته. كلّفه الله بتسليم الشريعة لشعبه. سيكون مؤسِّسًا لعبادة الله، ووسيطًا لأسمى الأسرار. ولهذا، لن يكفَّ عن تغذية روابط تضامن وثيقة مع شعبه، ولا سيما في ساعة التجربة والخطيئة. تعلّق دائمًا بشعبه. لم يفقد موسى ذاكرة شعبه. وهذه واحدة من عظمة الرعاة: لا تنسوا الشعب، ولا تنسوا الجذور. هذا ما قاله الرسول بولس لأسقفه الشاب الحبيب تيموثاوس: «تذكر أمك وجدتك وجذورك وشعبك». كان موسى قريبًا جدًا من الله لدرجة أنه استطاع أن يتحدث معه وجهًا لوجه (را. خر ٣٣، ١١)، وظلَّ قريبًا جدًا من الناس فكان يشعر بالرحمة تجاههم في خطاياهم وتجاربهم، وعندما كان يستولي الحنين إلى الماضي فجأة على هؤلاء المنفيين، ويتذكرون أيامهم في مصر.

لم ينكر موسى الله ولا حتى شعبه. إنه أمين لأبناء جلدته ولصوت الله. لم يكن موسى إذًا قائدًا متسلطًا ومستبدًّا، بل يُعرّفه سفر العدد بأنه «أكثر تواضعًا ووداعةً من أي إنسانٍ على وجه الأرض» (را. ١٢، ٣). على الرغم من وضعه المتميز، ظلّ موسى ينتمي إلى تلك الجماعة من فقراء الروح الذين يعيشون ويجعلون ثقتهم بالله رفيقهم في مسيرتهم. كان رجلا من رجال الشعب.

وهكذا، ستكون صلاة موسى العادية صلاة شفاعة. (را. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٥٧٤). إيمانه بالله يتَّحدُ بروح الأبوّة التي كان يشعر بها تجاه شعبه. يُصوّره الكتاب المقدس عادةً ويداه مرفوعتان إلى العُلى، إلى الله، فهو في شخصه مثلُ جسرٍ بين السماء والأرض. حتى في أصعب اللحظات، وحتى في اليوم الذي استبعد فيه الشعبُ اللهَ، واستبعده هو أيضًا، كقائدٍ لهم، وصنعوا لهم عجلًا ذهبيًا، لم يقدر موسى أن يترك شعبه.إنّه شعبي. إنّه شعبك. إنّه شعبي. لم ينكر الله ولا الشعب. وقال لله: «قد خَطِئَ هذا الشَّعبُ خَطيئَةً عَظيمة، وصَنَعَ لِنَفْسِه آلِهَةً مِن ذَهَب. والآنَ إن غَفَرتَ خَطيئَتَه... وإلاَّ فامحُني مِن كِتابِكَ الَّذي كتَبتَه» (خر ٣٢، ٣١-٣٢).لم يتخلى موسى عن الشعب. إنّه الجسر والشفيع. كان في الوسط بين الشعب والله. لم يغدر بشعبه من أجل منصب. إنّه ليس انتهازيًا، بل شفيع لقومه ولأهله ولتاريخه ولشعبه ولله الذي دعاه. إنّه الجسر. يا له من مثال جميل لجميع الرعاة الذين يجب أن يكونوا «جسرًا». لهذا، يُطلق عليهم اسم صانعي جسور. الرعاة هم جسورٌ بين الشعب، الذي ينتمون إليه، والله الذي ينتمون إليه بحسب الدعوة. هكذا كان موسى: «يا ربّ، اغفر خطاياهم، وإلا إذا لم تغفر، فاحذفني من كتابك الذي كتبته. لا أريد أن أتقلد مناصبًا مستغلًا شعبي».

وهذه الصلاة هي التي يُنَمِّيها المؤمنون الحقيقيون في حياتهم الروحية. حتى لو اختبروا خطايا الناس وبُعدهم عن الله، فإن المصَلِّي لا يَدِين ولا يَنبِذ. موقف الشفاعة هو موقف القديسين، الذين، في اقتدائهم بالمسيح، هم «جسورٌ» بين الله وشعبه. بهذا المعنى، كان موسى، النبي الأعظم ليسوع، محامينا وشفيعِنا. (را. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٥٧٧).وأيضًا اليوم، يسوع هو الجسر، هو الجسر بيننا وبين الآب. وهو يتشفّع لنا، ويُظهر للآب الجراح التي هي ثمن خلاصنا ويتشفع. وموسى هو صورة يسوع الذي يصلّي ويتشفع اليوم من أجلنا.

يحُثنا موسى على الصلاة بمِثل صلاة يسوع الحارّة، وعلى التشفع من أجل العالم، وأن نتذكر أنّه على الرغم من كل ضعفه، إنّما هو دائمًا ينتمي لله. جميعنا نعود إلى الله. حتى أبشع الخطأة والأشرار والقادة الفاسدين، هم أبناء الله ويسوع يشعر هذا ويتشفع للجميع. ويعيش العالم ويزدهر بفضل بركة البّار، وصلاة التقوّى،التي يرفعها، القديس والبّار والشفيع والكاهن والأسقف والبابا والعلماني وأي معمّد، باستمرارٍ من أجل الناس، في كل مكان وزمان من التاريخ. لنفكر في موسى الشفيع. وعندما نشعر برغبة إدانة أحدًا ما ونغضب من الداخل – أن نغضب أمر جيد ولكن أن ندين فهو ليس كذلك – لنتشفع له، فهذا سيساعدنا كثيرًا.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصلاة

الأربعاء ٢٤ يونيو / حزيران ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

٨. صلاة داوُد

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

في مسيرة تعاليمنا حول موضوع الصلاة، نلتقي اليوم الملكَ داوُد. أحبَّه الله منذ كان فتًى شابًّا، واختاره لرسالة فريدة من نوعها، سيكون لها دور رئيسي في تاريخ شعب الله وفي تاريخ إيماننا. قد دُعي يسوع في الأناجيل عدة مرات «ابن داوُد»، فقد وُلِد مثله في بيت لحم. وبحسب الوعود، من نسل داود يأتي المسيح: ملكٌ بحسب قلب الله، وفي طاعة كاملة للآب، يحقِّقَ بأمانة تدبير الله الخلاصي (را. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٥٧٩).

بدأت قصة داوُد على التلال حول بيت لحم، حيث كان يرعى ماشية والده يسى. كان لا يزال صبيًا، وهو الأصغر بين إخوته الكثيرين، ولهذا، عندما جاء النبي صموئيل، بأمر من الله، يبحث عن الملك الجديد، بدا أنّ والده يسى قد نسي هذا الابن الأصغر (را. ١ صم ١٦، ١- ١٣). كان داود يعيش مع الطبيعة: صديقًا للريح وأصوات الطبيعة وأشعة الشمس. له رفيق واحد فقط يقوّي به روحه: القيثارة. في وَحدة أيامه الطويلة، كان يحب أن يعزف وأن ينشد لإلهه. وكان يتسلى بالمقلاع مع المقلاع.

داوُد إذًا هو أولًا راعٍ: رجل يعتني بالحيوانات، ويُدافع عنها عند الخطر، ويُؤمّن لها طعامها. عندما اضطر، بأمر من الله، أن يهتم بالشعب، لِيَقم بأفعال

تختلف كثيرًا عن هذه. ولذا فإن صورة الراعي تَرِدُ مرارًا في الكتاب المقدس. يسوع أيضًا عرَّف نفسه أنه «الراعي الصالح»، وأنّ تصرفه يختلف عن تصرف الأجير. فهو يبذل حياته في سبيل الخراف، ويقودها ويعرف كل خرافه باسمها (را. يو ١٠، ١١-١٨).

تعلّم داوُد الكثير من مهنته الأولى. ولهذا، عندما وبخه النبي ناثان بسبب خطيئته الكبيرة (راجع ٢ صم ١٢، ١- ١٥)، فَهم داوُد على الفور أنّه كان راعيًا سيئًا، لأنّه نهب من رجل آخر نعجته الوحيدة التي أحبها، فلم يَعُد خادمًا متواضعًا، بل أصابه مرض السلطة، وأصبح مستبدًّا يقتل ويسرق.

الصفة المميزة الثانية في دعوة داوُد هي روحه الشعرية. من هذه الملاحظة الصغيرة نستنتج أنّه لم يكن رجلاً مبتذَلًا، كما يمكن أن يحدث غالبًا للأفراد الملزمين أن يعيشوا لفترة طويلة منعزلين عن المجتمع. هو بالأحرى إنسانٌ حساس يحب الموسيقى والغناء. وسوف ترافقه قيثارته دائمًا، بها يرفع تارةً نشيد فرح إلى الله (٢ صم ٦، ١٦)، وتارةً أخرى يعبّر عن شكواه أو يعترف بخطيئته (را. مز ٥١، ٣).

العالم الذي يظهر أمام عينيه ليس مشهدًا صامتًا. إنه ينظر إليه فيتكشف فيه سّرًا كبيرًا خلف ظواهر الأشياء. ومن هنا تُولد الصلاة: من اليقين بأنّ الحياة ليست شيئًا يُلقى بها على أكتافنا جِزافًا، بل هي سّر مذهل، تُثير فينا الشعر والموسيقى وعِرفان الجميل والتسبيح، أو الشكوى والابتهال. عندما يفتقر شخص ما إلى هذا البعد الشعري، أي، عندما يفتقر للشعر، فإنّ روحه تتعرج. لذلك يقول التقليد إنّ داوُد هو المؤلف العظيم للمزامير. وتَحمل المزامير في الواقع مرارًا في بدايتها إشارة واضحة إليه، وإلى بعض الأحداث في حياته، الصالحة والسيئة معًا.

لدى داوُد حُلم: أن يكون راعياً صالحاً. في بعض الأحيان نجح في أن يكون على مستوى هذه المهمة، وأحيانًا لم ينجح، لكن ما يهم، في سياق تاريخ الخلاص، أنّه كان عبارة عن نبوءة لملك آخر، وهو بالنسبة إليه المبشر والرمز فقط.

لننظر ولنفكّر في داوُد. كان القديس والخاطئ، المضطهَد والمضطهِد، الضحية والجلاد، وهو تناقض. كان داوُد كل ذلك معًا. ونحن أيضًا نجد غالبًا صفات متضاربة في حياتنا. في نسيج الحياة، يُخطئ جميع الناس مرارًا في مواقف يتخذها متناقضة. لكن هناك خيط أحمر واحد فقط في حياة داوُد الذي يوَحِّد كل ما حدث له: إنها صلاته. هذا هو الصوت الذي لا يتوقف أبداً. كان داوُد القديس يصلي وداوُد الخاطئ يصلي، وكان داود المضطهَد يصلي وداوُد المضطهِد يصلي، وكان داوُد الضحية يصلي. حتى داوُد الجلاد كان يصلي. هذا هو الخيط الأحمر في حياته. هو رجل صلاة. هذا هو الصوت الذي لا يتوقف أبداً: سواء كان ذلك على نغمات الابتهاج أو الشكوى، فهي دائمًا نفس الصلاة، وحده النغم يتغير. من خلال ذلك، يُعلمنا داوُد أن نُدخِل كلّ شيءٍ في حوارنا مع الله: الفرح والخطيئة، والحب والمعاناة، والصداقة مثل المرض. يمكن أن يصبح كل شيء كلمة موجهة إلى الله الذي يسمعنا دائمًا.

داوُد، الذي عَرف الوَحدة، لم يكن قط وحيدًا! وهذه في الأساس هي قوة الصلاة، في كل هؤلاءِ الذين يمنحونها مساحة في حياتهم.الصلاة تمنحك نبلًا، وداود هو نبيلٌ لأنه كان يصلي. لكنه جلاد يصلي ويتوب فيعود النبل له بفضل الصلاة. الصلاة تعطينا النبل: إنّها قادرة على ضمان العلاقة مع الله، الذي هو الرفيق الحقيقي في مسيرة الإنسان، في وسط آلاف صعاب الحياة،جيدة كانت أم سيئة: ولكن دائمًا الصلاة. شكرًا يا ربّ. أنا خائف يا ربّ. ساعدني يا ربّ. سامحني يا رب. إنّ ثقة داود عظيمة لدرجة أنه عندما كان مضطهَدًا واضطر إلى الفرار، لم يدع أي أحد يدافع عنه: «إذا إلهي يذلني هكذا، فهو يعلم»، لأن نبل الصلاة يضعنا بين يدي الله. تلك الأيدي المجروحة بالحب: الأيدي الوحيدة الآمنة لنا.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة في الصلاة

الأربعاء ٧ أكتوبر/ تشرين الأوّل ٢٠٢٠

قاعة بولس السادس

٩. صّلاة إيليّا

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء،صباح الخير!

نستأنف اليوم التعاليم في موضوع الصّلاة، التي توقفنا عنها للقيام بتعليمٍ في موضوعالعناية بالخليقة، والآن نستأنف، ونلتقي بأحد أكبر الشخصيّات التي تسترعي انتباهنا في كلّ الكتاب المقدّس: إنّه النبي إيليّا. لقد تخطى حدود عصره، ونجده أحيانا حاضرًا في بعض أحداث الإنجيل. إذ تراءى مع موسى بجانب يسوع في لحظة التجلّي (را. متى ١٧، ٣). وأشار يسوع نفسه إليه ليؤكد شهادة يوحنا المعمدان (را. متى ١٧، ١٠-١٣).

يَظهر إيليّا في الكتاب المقدّس فجأةً، بطريقة غامضة، قادمًا من قرية صغيرة مغمورة (را. ١ مل ١٧، ١)، وفي النهاية يختفي أمام عيني تلميذه أليشع، على عربة من النار تحمله إلى السماء (را. ٢ مل ٢، ١١-١٢). فهو رجلٌ بلا أصل محدد، وخاصةً بلا نهاية طبيعية لحياته، فقد اختُطف إلى السماء: لهذا السبب كانت عودته متوقعة قبل مجيء المسيح، بمثابة سابِق. هكذا كانت عودة إيليّا متوقعة.

يُقدّم لنا الكتاب المقدّس إيليّا رجلَ إيمانٍ نقيٍّ مثل البلور: اسمه، والذي يمكن أن يعني «الرّبّ هو الله»، يحتوي على سرّ رسالته. سيكون هكذا طوال حياته: رجلًا نزيهًا، غيَر قادر على المساومات التافهة. رمزه هو النار، صورة لقدرة الله المطهرة. وسيكون أوّل من يُمتَحَنُ بالشدائد، وسيبقى أمينًا. إنّه مثال

لكلّ المؤمنين الذين يعرفون التجارب والآلام، لكنّهم لا يتنازلون عن المثال الذي ولدوا من أجله.

الصّلاة هي الرحيق الذي يغذي وجوده باستمرار. وهذا هو السبب الذي جعله أحد أعز شخصيات التقليد الرهباني، لدرجة أنّ البعض اختاره أبًا روحيًّا للحياة المكرسة لله. إيليّا هو رجل الله الذي يقف مدافعًا عن أولويّة الله العلي. ومع ذلك، فهو أيضًا مُجبر على التعامل مع ضعفه. من الصعب أن نقول أي الخبرات كانت أكثر فائدة له: أهي هزيمة الأنبياء الكذبة على جبل الكرمل (را. ١ مل ١٨، ٢٠-٤٠)، أم لحظة الضياع التي رأى فيها أنّه «ليس خَيرًا مِن آبائه» (را. ١ مل ١٩، ٤). في نفس من يصّلي، الإحساس بالضعف أثمن من لحظات المجد، عندما يبدو أنّ الحياة هي سلسلة من الانتصارات والنجاحات. في الصّلاة يحدث هذا دائمًا: لحظاتصلاة نشعر أنّها تدفعنا إلى العُلّى، وأيضًا لحظات حماس، ولحظات صلاة الألم، والبعد عن الله، والتجارب. إنّ الصّلاة على هذا النحو: أن نسمح لأنفسنا تُحمل من الله وأن نسمح بأن تؤلمنا أوضاع سيئة وتجارب. هذه حقيقة موجودة في العديد من دعوات أخرى في أسفار الكتاب المقدّس، حتى في العهد الجديد، لنتأمّل مثلًا في القديس بطرس وبولس. فقد كانت حياتهم على هذا النحو أيضًا: لحظات ابتهاج ولحظات انحطاط ومعاناة.

إيليّا هو رجل الحياة التأمليّة، وفي الوقت نفسه، رجل الحياة العمليّة، الذي يهتم بأحداث زمانه، ويقدر أن ينتقد الملك والملكة، لأنّهم قتلوا نابوت للاستيلاء على كرمه (را. مل ٢١، ١-٢٤). كم نحن بحاجةٍ إلى مؤمنين، مسيحيين غيورين، يتصرفون أمام أناس لديهم مسؤوليات إدارية بشجاعة إيليّا، وليقولوا: «ينبغي ألا يتم هذا! هذه جريمة قتل!». نحن بحاجة إلى روح إيليّا. هو يُظهر لنا أنّه يجب ألا يكون هناك ازدواجية في حياة من يصّلي: إنّه يقف أمام الرّبّ ويذهب للقاء الإخوَة الذين يُرسله الله إليهم.الصّلاة ليست

أن ننغلق مع الرّبّ لنخبّئ عيوب الروح: لا، هذه ليست صّلاة، هذا تصنّع في الصّلاة. الصلاة هي مواجهة مع الله وأن نسمح لأنفسنا أن نُرسَل لخدمة الإخوَة. إنّ اختبار صحة الصّلاة في محبة القريب العمليّة. والعكس صحيح: المؤمنون يعملون في العالم بعد أن يكونوا قد صمتوا وصلّوا أولاً، وإلا فإنّ عملهم هو اندفاع، لا يميز بين الأمور، وهو سعيٌ مرهقٌ بلا هدف.المؤمنون يتصرفون بهذه الطريقة، ويفعلون الكثير من الظلم، لأنّهم لم يذهبوا أولاً إلى الرّبّ للصلاة، ولتمييز ما ينبغي عليهم فعله.

تبيّن لنا صفحات الكتاب المقدّس أنّ إيمان إيليّا كان فيه ايضًا نمو وتقدم: هو أيضًا نما وتقدم في الصّلاة، وصقلها شيئًا فشيئًا. أصبح وجه الله له أكثر وضوحًا خلال مسيرته معه. إلى أن بلغ ذروته في تلك الخبرة غير العاديّة، عندما تجلّى له الله على الجبل (را. ١ مل ١٩، ٩-١٣). لا يتجلّى الله في العاصفة الشديدة، ولا في الزلزال أو في النار التي تلتهم، بل في «صَوتِ نَسيمٍ لَطيف» (الآية ١٢). أو بترجمة أفضل تُظهر تلك الخبرة جيدًا: الله يتجلّى في خيط من الصمت الرنان. هكذا يظهر الله لإيليّا. بهذه العلامة المتواضعة اتصل الله بإيليّا، الذي كان في تلك اللحظة نبيًا هاربًا فقدَ السلام. جاء الله ليلتقي برَجُلٍ مُتعب، برَجُلٍ ظنّ أنّه فشل على كلّ الجبهات، وبهذا النسيم اللطيف، بهذا الخيط من الصمت الرنان، أعاد إلى قلبه الهدوء والسلام.

هذه هي قصة إيليا، لكن يبدو أنّها كُتبت لنا جميعًا. قد نشعر أحيانًا، في نهاية النهار، أنّنا وحيدون ولا نفع لنا. إذّاك تأتي الصّلاة وتَقرَع على باب قلبنا. كلّنا يمكننا أن نلتقط قطعة من عباءة إيليا، تمامًا كما التقط تلميذه أليشع نصف عباءته. وحتى لو أخطأنا في شيء، أو شعرنا بالتهديد والخوف، لِنَعُدْ أمام الله في الصّلاة وسيعود إلينا، كأنه بأعجوبة، الصفاء والسلام.هذا ما يُعلمنا إياه مثال إيليّا.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة في الصلاة

الأربعاء ١٤ أكتوبر/ تشرين الأوّل ٢٠٢٠

قاعة بولس السادس

١٠. صلاة المزامير ١

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء،صباح الخير!

عندما نقرأ الكتاب المقدّس، نجد أنفسنا باستمرار أمام أنواع مختلفة من الصلوات. ونجد سفرًا كله صلوات، وهو سفرٌ أصبح موطنًا وميدانًا وبيتًا لعدد لا يحصى من المصّلين. هو سفر المزامير.يوجد ١٥٠ مزمورًا للصّلاة.

إنّه جزء من أسفار الحكمة، لأنّه يعلّم «حكمة الصّلاة»، من خلال خبرة الحوار مع الله. نجد في المزامير كلّ المشاعر البشريّة التي تملأ حياتنا: الأفراح، والآلام، والشكوك، والآمال، والمرارة. يؤكد التّعليم المسيحي أنّ كلّ مزمور «فيه من الاعتدال ما يجعل الناس من كلّ طبقة ومن كلّ زمان قادرين أن يصلوه في الحقيقة» (التّعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٥٨٨). من خلال قراءة المزامير وإعادة قراءتها، نتعلم لغة الصّلاة. في الواقع، ألهم الله الآب، برّوحه القدّوس، قلب الملك داود ومصلين آخرين، ليعلّموا كلّ رجل وامرأة كيف يمدحونه، وكيف يشكرونه، ويتوسلون إليه، وكيف يلتمسونه في الفرح والألم، وكيف يَروُون عجائب أعماله وشريعته. باختصار، المزامير هي كلام الله الذي نستخدمه نحن البشر للحديث مع الله.

في هذا السفر لا نلتقي بأناس أثيريين مجردين، أناس يخلطون الصّلاة مع خبرة جمالية أو خبرة تخرجنا عن طبيعتنا. المزامير ليست نصوصًا وُلدت على مكتب. هي ابتهالات، غالبًا ما تكون مأساويّة، تتدفق من قلب الحياة. حتى

نصليها يكفي أن نكون على ما نحن عليه. يجب ألا ننسى أنّه حتى نصلي جيدًا يجب أن نصلي كما نحن، وأن لا نتنكر. لا حاجة أن نخبئ عيوب الروح حتى نصلي. «يا ربّ، أنا هكذا»، ونذهب أمام الرّبّ كما نحن، مع كل ما فينا من أشياء جميلة أو سيئة التي لا يعرفها أحد، ولكننا في الداخل نحن نعرفها. في المزامير نسمع أصوات مصلين من لحم وعظم، كانت حياتهم، مثل حياة الجميع، محفوفة بالمشاكل والمتاعب والشكوك. لا ينكر صاحب المزمور بشكل قاطع هذه المعاناة: إنّه يعلم أنها جزء من الحياة. لكن المعاناة في المزامير تتحول إلى سؤال. من المعاناة إلى السؤال.

ومن بين الأسئلة العديدة، سؤالٌ يبقى مُعلّقًا، مثل صرخة متواصلة تخترق السفر بأكمله من أوله إلى آخره. سؤالٌ نكرره عدة مرات: «إلام يا ربّ؟ (إلى متى يا ربّ؟) إلام؟» كلّ ألم يطلب تحريرًا، وكلّ دمعة تطلب عزاء، وكلّ جرح ينتظر شفاء، وكلّ افتراء ينتظر حكم براءة. «إلام يا ربّ يتوجب أن أتحمل هذا؟ أصغِ إليّ يا ربّ!»: كم مرة يجب أن نصلي هكذا، ونسأل «إلام يا ربّ؟»، يكفي يا ربّ!

من خلال طرح مثل هذه الأسئلة باستمرار، تعلمنا المزامير ألّا نتعوّد على الألم، وتُذكرنا بأنه لا خلاص في الحياة إلّا إذا تم شفاؤها. حياة الإنسان نفخة، وقصته عابرة، لكن المصّلي يعرف أنّه عزيز في عيني الله، لذلك من المنطقي أن يصرخ. وهذا مهم. عندما نصلي، نقوم بذلك لأننا نعلم أننا عزيزون في عيني الله. إنّ نعمة الرّوح القدّس هي التي تثير هذا الوعي فينا من الداخل: بأنّنا عزيزون في عيني الله. هذا ما يدفعنا إلى أن نصلي.

صلاة المزامير هي شهادة على هذه الصرخة: إنّها صرخة متعددة الأشكال، لأنّ الألم في الحياة يتخذ آلاف الأشكال، اسمها المرض أو الكراهية أو الحرب أو الاضطهاد أو عدم الثقة ... وصولًا إلى «المعثرة الكبرى»، التي هي الموت. يظهر الموت في سفر المزامير على أنّه أكبر خصم غير معقول للإنسان: ما

هي الجريمة التي تستحق مثل هذه العقوبة القاسية، التي تستوجب الإبادة والنهاية؟ مصلي المزامير يسأل الله أن يتدخل حيث تعجز كلّ الجهود البشرية. لهذا، فإنّ الصّلاة، في حد ذاتها، هي طريق خلاص وبداية خلاص.

الجميع يعاني في هذا العالم: سواء كان مؤمنًا بالله أو غير مؤمن. في سفر المزامير يصبح الألم علاقة، صلة: صرخة استغاثة تنتظر أن تبلغ أذنًا تسمع. لا يمكن أن يبقى الألم بلا معنى وبدون هدف. حتى الآلام التي نعانيها لا يمكن أن تكون مجرد حالات معينة تخضع لقانون عام: إنّها دائمًا «دموعي». فكروا في هذا: الدموع ليست دموع الجميع، إنّها دموعي. لكلّ واحد دموعه الخاصة به. تدفعني «دموعي» و «ألمي» أن أستمر في الصّلاة. إنّها دموعيالتي لم يذرفها أحد قبلي. نعم، لقد بكى كثيرون، كثيرون. لكن «دموعي» هي دموعي أنا، و«ألمي» هو ألمي أنا، و«معاناتي» هي معاناتي أنا.

قبل أن أدخل القاعة التقيت بوالدَي ذاك الكاهن من أبرشية كومو الذي قُتل. لقد قُتل تمامًا أثناء خدمته للمساعدة. دموع هاذين الوالدَين هي «دموعهما»، وكلّ واحد منهما يعرف كم عانى في رؤية هذا الابن الذي ضحى بحياته في خدمة الفقراء. عندما نريد أن نعزي أحدًا ما، لا نجد الكلمات. لماذا؟ لأننا لا نستطيع أن نصل إلى ألمه، لأنّ «ألمه» هو ألمه و«دموعه» هي دموعه. وينطبق الشيء نفسه علينا: «ألمي» هو ألمي أنا، و«دموعي» هي دموعي أنا وبهذه الدموع، وبهذا الألم أتوجه إلى الرّبّ.

كلّ آلام الناس في سبيل الله مقدسة. هكذا يصلي المصّلي في المزمور ٥٦: «قد عَدَدتُ خَطَواتي التَّائِهة فاجعَل دُموعي في قِربَتِكَ. أَوَلَيسَت في سِفرِكَ؟» (الآية ٩). أمام الله نحن لسنا غرباءَ أو أرقامًا. نحن وجوه وقلوب كلّ واحد منا معروف باسمه.

في المزامير يجد المؤمن جوابًا. فهو يعلم أنّه حتى لو كانت جميع الأبواب البشريّة مغلقة، فإنّ باب الله مفتوح. ولو كان العالم كلّه قد أصدر عليه حكمًا،

فمع الله يوجد خلاص.

«الرّبّ يصغي»: يكفي أحيانًا في الصّلاة معرفة ذلك. لا تُحل المشاكل دائمًا. من يصلي لا يخدع نفسه: يعرف أنّ العديد من أسئلة الحياة هنا تبقى دون حل، وبلا مخرج، وسترافقنا الآلام، وبمجرد التغلب على معركة ما، ستكون هناك معارك أخرى في انتظارنا. ومع ذلك، إذا سمع الله صلاتنا، أصبح كلّ شيء أهون للاحتمال.

أسوأ شيء يمكن أن يحدث لنا هو أن نتألم ونبقى وحدنا متروكين، لا يفطن لنا أحد. من هذا تُخلصنا الصّلاة. لأنّه يمكن أن يحدث غالبًا أنّنا لا نفهم مخططات الله. لكن صرخاتنا لا تركد هنا: إنّها ترتفع إليه تعالى، وقلبُه قلبُ الآب، الذي يبكي هو أيضًا لكلّ ابن وابنة يتألم ويموت.سأقول لكم شيئًا واحدًا: أجد الراحة، في اللحظات الصعبة، أن أفكر في دموع يسوع، عندما بكى وهو ينظر إلى القدس/ أورشليم، عندما بكى أمام قبر لعازر. بكى الله من أجلي وبكى الله من أجل آلامنا. لأنّ الله أراد أن يصير إنسانًا – كما قال كاتب روحاني– حتى يتمكن من أن يبكي. أن نفكر بأنّ يسوع يبكي معي في الألم هو عزاء: فهو يساعدنا على المضي قدمًا. إذا بقينا على علاقة معه، فإنّ الحياة لن تُجَنِبَنا الآلام، لكنها ستفتح لنا أفقًا واسعًا من الخير وننطلق نحو تتمته. تشجعوا، ولنمضِ قدمًا في الصّلاة. يسوع دائمًا بجانبنا.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة في الصلاة

الأربعاء ٢١ أكتوبر/ تشرين الأوّل ٢٠٢٠

قاعة بولس السادس

١١. صلاة المزامير ٢

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء،صباح الخير!

اليوم يجب أن نغير قليلًا طريقة إجراء هذه المقابلة العامة بسبب فيروس الكورونا. لقد تم فصلنا عن بعض، وفُرض وضع الكمامة الطبيّة من أجل الحمايّة وأنا هنا بعيد بعض الشيء ولا يمكنني أن أتحرك كالمعتاد فأقترب منكم، لأنّه يحدث في كلّ مرة أقترب فيها، أنكم تأتون إليّ جميعًا فتُفقد المسافة وهناك خطر انتقال العدوىٰ إليكم. آسف لهذه الترتيبات، ولكنها من أجل سلامتكم. بدلاً من أن أقترب منكم وأصافح وألقي التحية، لنحيّ بعضنا من بعيد، لكن تعلمون أنني قريب منكم في القلب. أرجو أن تفهموا لماذا أفعل هذا. ثم، بينما كان القراء يقرؤون المقطع من الكتاب المقدّس، لفت انتباهي ذلك الطفل أو الطفلة الذي كان يبكي. ورأيت الأم تحضن الطفل وترضعه وفكرت: «هكذا يفعل الله معنا، مثل تلك الأم». بأي حنان حاولت أن تحرك الطفل وأن ترضعه. إنّها صُوَرٌ جميلة. وعندما يحدث هذا في الكنيسة، عندما يبكي طفل، نعلم أن هناك حنان الأم، كما هو الحال اليوم، يوجد حنان الأم التي هي رمز حنان الله معنا. لا تسكتوا أبدًا طفلًا يبكي في الكنيسة لأنّه الصوت الذي يجذب حنان الله. شكرًا علىٰ شهادتك.

نكمل اليوم التّعليم في صلاة المزامير. بدايةً نلاحظ أنّه غالبًا ما يظهر في المزامير وجهًا سلبيًّا، وجه «الشرير»، أي تلك أو ذلك الذي يعيش كما لو أنّ الله

غير موجود. إنّه إنسان دون أي مرجعيّة إلى المتعالي، ودون أي رادع لغطرسته، ولا يخشى حكمًا في ما يفكر فيه وما يفعله.

لهذا السبب يُقدّم سفر المزامير الصّلاة على أنّها الواقع الأساسي في الحياة. إنّ الصِّلة مع المطلق والمتعالي – التي يسميها معلّمو الحياة النسكية «مخافة الله المقدّسة» – هي التي تجعلنا بشرًا بكلّ المعنى، وهي الحد الذي يخلصنا من أنفسنا، فيمنعنا من الاندفاع إلى هذه الحياة بطريقة مفترسة وشرهة. الصّلاة هي خلاص الإنسان.

بالطبع، هناك أيضًا صلاة زائفة، صلاة نصلّيها فقط لننال إعجاب الآخرين. هذا أو هؤلاء الذين يذهبون إلى القداس فقط لإظهار أنهم كاثوليك أو لإظهار أحدث صنف قاموا بشرائه، أو ليكونوا شخصيّة اجتماعية جيدة. يذهبون إلى صلاة زائفة. وقد حذر يسوع منها بشدّة (را. متى ٦، ٥-٦؛ لو ٩، ١٤). لكن عندما نستقبل روح الصّلاة الحقيقي بصدق وعندما ينزل الروح إلى القلب، إذّاك تجعلنا الصّلاة نتأمل في الواقع بأعين الله نفسه.

عندما نصلّي، يصبح كلّ شيء «كبيرًا». هذا الأمر غريب في الصلاة، ربما نبدأ بشيء خفي ولكن في الصلاة يصبح هذا الشيء كبيرًا وله قيمة، وكأنّ الله يأخذه في يده ويبدله. أسوأ شيء يمكن أن نقدّمه لله وللإنسان أيضًا، هو أن نصلّي صلاة مُتعَبَة مُنهَكة، وبصورة معتادة.أن نصلّي مثل الببّغاوات. لا. أن نصلّي من القلب. الصّلاة هي مركز الحياة. إن وجدت الصلاة فعلًا، الأخ أيضًا والأخت، وأيضًا العدو، يكتسبان أهميّة في نظري. يقول مثل قديم للرهبان المسيحيّين الأوائل: «طوبى للراهب الذي، بعد الله، يعتبر جميع الناس مثل الله» (إفاغريوس البنطي، ميثاق في الصلاة، رقم ١٢٣). من عَبدَ الله أحبّ أبناء الله. من احترم الله احترم الناس.

لذلك فالصّلاة ليست مُهدئًا للتخفيف من هموم الحياة، أو، على أيّ حال، الصّلاة من هذا النوع ليست بالتأكيد مسيحيّة. بل الصّلاة تعلّم كلّ واحد منّا

الإحساس بالمسؤوليّة. نرى ذلك بوضوح في صلاة «أبانا» التي علّمها يسوع لتلاميذه.

حتى نتعلّم طريقة الصّلاة هذه، فإنّ سفر المزامير هو لنا مدرسة كبيرة. رأينا كيف أنّ المزامير لا تستخدم دائمًا كلمات مشذّبة ولطيفة، بل تحمل غالبًا أثر جراح الحياة. ومع ذلك، كانت كلّ هذه الصّلوات تُستخدم أولاً في هيكل القدس/ أورشليم، ثم في المجامع. حتى الصلوات الأكثر حميمية وشخصية. يقول التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة: «تعابير صلاة المزامير تصاغ في ليتورجيا الهيكل وقلب الإنسان معًا» (رقم ٢٥٨٨). وهكذا فإنّ الصّلاة الشخصية تُستمد وتتغذّى من صلاة شعب إسرائيل أوّلًا، ثمّ من صلاة شعب الكنيسة.

حتى المزامير، في صيغة المتكلم المفرد، التي تحمل الأفكار والمشاكل الأكثر حميمية للفرد، هي إرث جماعي، يصلّيها الجميع ومن أجل الجميع. صلاة المسيحيّين لها هذا «النفس»، هذا «الشد» الروحي الذي يضمّ معًا الهيكل والعالم. قد تبدأ الصّلاة في الضوء الخافت في حنايا الكنيسة، لكنها تنتهي وتكتمل في شوارع المدينة. وبالعكس، يمكن أن تولد في أثناء الأشغال اليومية وتكتمل في الليتورجيا. أبواب الكنائس ليست حواجز، بل «ستائر» قابلة للاختراق، وجاهزة لسماع صراخ الجميع.

العالم حاضر دائمًا في صلاة سفر المزامير. تتكلّم المزامير، على سبيل المثال، عن الوعد الإلهي بخلاص الأكثر ضعفًا: «مِن أَجْلِ اغْتِصابِ البائِسينَ وتَنَهّدِ المَساكين أَقومُ الآنَ، يَقولُ الرَّبّ وأُنعِمُ بِالخلاصِ على مَن إِلَيه يَتوقون» (١٢، ٦). أو تُحذر من خطر المال في العالم: «الإِنسانُ في التَّرَفِ لا يَفْهَم بل يُشبِهُ البَهائِمَ العَجْماء» (٤٨، ٢١). أو، أيضًا، تفتح الأفق على نظرة الله للتاريخ: «الرَّبّ يُحبِطُ مَساعِيَ الأُمَم ويُبطِلُ أَفكارَ الشُّعوب. أَمَّا مَساعي الرَّبِّ فَلِلأَبَدِ قائِمة وأَفْكارُ قَلبِه مدى الأجيال باقِيَة» (٣٣، ١٠ - ١١).

باختصار، حيث يوجد الله، يجب أن يكون هناك أيضًا الإنسان. الكتاب المقدّس حاسم في ذلك: «أَمَّا نَحنُ فإِنَّنا نُحِبّ لأَنَّه أَحَبَّنا قَبلَ أَن نُحِبَّه». هو دائمًا يسبقنا. وهو ينتظرنا دائمًا لأنّه يُحبنا أولاً، وينظر إلينا أولاً، ويفهمنا أولاً. هو ينتظرنا دائمًا. «إِذا قالَ أَحَد: (إِنِّي أُحِبُّ الله) وهو يُبغِضُ أَخاه كانَ كاذِبًا. لأَنَّ الَّذي لا يُحِبُّ أَخاه وهو يَراه لا يَستَطيعُ أَن يُحِبَّ اللهَ وهو لا يَراه.إذا كنت تصلّي العديد من المسابح في اليوم ثم تكلمت عن الآخرين، وبعد ذلك امتلأت بالضغينة في الداخل، والكراهية للآخرين، فهذا تصنُّع فقط، وليست حقيقة. إِلَيكُمُ الوَصِيَّةَ الَّتي أَخَذْناها عنه: مَن أَحَبَّ اللهَ فلْيُحِبَّ أَخاه أَيضًا» (١ يو ٤، ١٩-٢١). يعرف الكتاب المقدّس ويذكر الشخص الذي يبحث عن الله بإخلاص، ومع ذلك لا يتمكن أبدًا من لقائه. لكنه يؤكد أيضًا أنّ دموع الفقراء لا يمكن أن تضيع أبدًا، وأنه أمر مؤلم عدم لقاء الله. لا يتحمل الله «إلحاد» من ينكر الصورة الإلهية المطبوعة في كلّ إنسان.هذا الإلحاد اليومي: أنا أؤمن بالله ولكن مع الآخرين أحافظ على مسافة وأسمح لنفسي أن أكرهم. هذا إلحاد عملي. عدمُ الاعتراف بالإنسان أنّه صورة الله هو تدنيس، وازدراء، وأسوأ إهانة يمكن حملها إلى الهيكل والمذبح.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، لتساعدنا صلاة المزامير حتى لا نقع في تجربة «الأشرار»، أي أن نعيش، وربما أيضًا أن نصلي، وكأنّ الله غير موجود، وكأنّ الفقراء غير موجودين.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة في الصلاة

الأربعاء ٢٨ أكتوبر/ تشرين الأوّل ٢٠٢٠

قاعة بولس السادس

١٢. يسوع رجل صلاة

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

اليوم سأبقى هنا في هذا اللقاء العام، كما فعلنا في اللقاءات العامة السابقة. أرغب كثيرًا في أن أنزل إليكم، وأحيي كلّ واحد منكم، لكن يجب أن نحافظ على المسافة والتباعد، لأنّه إذا نزلت سيكون فورًا تجمهر لتبادل التحية، وهذا مضاد للتدابير المفروضة، والإجراءات الوقائيّة التي يجب أن نتخذها أمام هذه «السيدة» التي تدعى فيروس الكورونا والتي تلحق بنا ضررًا كبيرًا. لهذا، اعذروني، إن لم أنزل لأحييكم: أحيككم من هنا ولكني أحملكم جميعًا في قلبي. وأنتم احملوني في قلبكم وصلّوا من أجلي. يمكن أن نصلّي بعضنا لبعض ولو كنا متباعدين، شكرا لتفهمكم.

في مسيرتنا التعليمية في موضوع الصّلاة، وبعد أن عبرنا العهد القديم، نصل الآن إلى يسوع. كان يسوع يصلّي. بدأت رسالته العامة مع المعمودية في نهر الأردن. ويتفق الإنجيليون في إعطاء أهمية أساسيّة لهذه الحادثة. فيروون كيف اجتمع كلّ الناس للصلاة، ويحددون كيف كان لهذا التجمع طابع توبة واضح (را. مر ١، ٥؛ متى ٣، ٨). ذهب الشعب إلى يوحنا المعمدان ليعتمدوا لمغفرة الخطايا: ففي مجيئهم توبة وارتداد.

لذلك، كان أوّل عمل علني ليسوع هو المشاركة في صلاةِ جماعية للشعب، صلاةِ شعب ذهب ليعتمد، صلاةِ توبة، كان الجميع يعترفون فيها بأنهم خطأة.

لهذا السبب أراد يوحنا المعمدان أن يمانعه، فقال: «أَنا أَحتاجُ إِلى الاِعتِمَادِ عن يَدِكَ، أَوَأَنتَ تَأتي إِليَّ؟» (متى ٣، ١٤). عرف يوحنا المعمدان من كان يسوع. لكنَّ يسوع أصرَّ وقال إنّ عمله هو طاعة لإرادة الآب (را. الآية ١٥)، وهو عملُ تضامنٍ مع حالتنا الإنسانيّة. صلّى يسوع مع الخطأة في شعب الله. لنضع هذا في فكرنا: يسوع هو البار، وليس خاطئًا. لكنه أراد أن ينزل إلينا نحن الخطأة وصلّى معنا، وعندما نصلّي يكون معنا ويصلّي. إنّه معنا لأنّه في السماء يصلّي من أجلنا. يسوع يصلّي دائمًا مع شعبه، ويصلّي معنا دائمًا، دائمًا. نحن لا نصلّي وحدنا، بل نصلّي دائمًا مع يسوع. ولم يبقَ على الضفة المقابلة للنهر كأنّه يقول – أنا البار وأنتم الخطأة – ليبيِّن أنه مختلف وبعيد عن الشعب العاصي، بل وضع قدميه ونزل في نفس المياه المطهرة. إنّه يتصرف كخاطئ. وهذه هي عظمة الله الذي أرسل ابنه الذي أخلى ذاته وظهر مثل خاطئ.

يسوع ليس إلهًا بعيدًا، ولا يمكنه أن يكون كذلك. ظهر بتجسده كاملًا بصورة لا يمكن تصورها، ظهر إنسانًا. ومع بداية رسالته، وضع يسوع نفسه في مقدمة الشعب التائب، وكأنّه أخذ على عاتقه أن يفتح ثغرة، علينا جميعًا، من بعده، أن نتحلّى بالشجاعة لنعبر بها. لكن الطريق، السير، صعب. لكنه هو يسوع تقدمنا وفتح الطريق. يوضح التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية أنّ هذا هو الأمر الجديد في ملء الزمان. يقول: «الصّلاة البنويّة، التي كان الآب ينتظرها من أبنائه، حقَّقها أخيرًا الابن الوحيد نفسه، في بشريّته، لأجل الناس ومعهم» (رقم. ٢٥٩٩). يسوع يصلّي معنا. لنضع هذا في فكرنا وقلبنا: يسوع يصلّي معنا.

في ذلك اليوم، على ضفاف نهر الأردن، كانت هناك إذًا كلّ البشريّة، بأشواقها الخفية للصلاة. كان هناك قبل كلّ شيء شعب الخطأة: الذين كانوا يعتقدون أنه لا يمكن أن يحبهم الله، والذين لم يكونوا يجرؤون أن يتجاوزوا عتبة الهيكل، والذين لم يُصَلُّوا لأنّهم كانوا يشعرون أنّهم غير أهلٍ لذلك. جاء

يسوع من أجل الجميع، ومن أجلهم أيضًا، وبدأ بالتحديد بالانضمام إليهم، هو في المقدمة.

إنجيل لوقا، بصورة خاصة، يبيّن جو الصّلاة الذي تمت فيه معمودية يسوع: «ولَمَّا اعتَمَدَ الشَّعبُ كُلُّه واعتَمَدَ يَسوعُ أَيضاً وكانَ يُصَلِّي، اِنفَتَحَتِ السَّماء» (٣، ٢١). عندما صلّى يسوع، فَتَح باب السماوات، ونزل الرّوح القدّس من هذه الفتحة. وجاء صوت من عُلُ يعلن الحقيقة المذهلة: «أَنتَ ابنِيَ الحَبيب، عَنكَ رَضِيت» (الآية ٢٢). تحتوي هذه العبارة البسيطة على كنزٍ هائل: فهي تجعلنا ندرك شيئًا من سرّ يسوع ومن قلبه المتّجه دائمًا إلى الآب. في زوبعة الحياة والعالم الذي سيحكم عليه يسوع في ما بعد، وحتى في أصعب التجارب وأشدِّها حزنًا، التي سيتعين عليه تحملها، وعندما سيفتقر إلى مكان يضع عليه رأسه (را. متى ٨، ٢٠)، وعندما سيواجه الكراهية والاضطهاد من حوله، لن يكون يسوع أبدًا بلا مأوى يلجأ إليه: لأن مقرَّه هو في الآب إلى الأبد.

هذه هي العظمة الفريدة لصلاة يسوع: الروح القدّس يملِك شخصه، وصوت الآب يشهد على أنّه المحبوب، وأنّه الابن والصورة الكاملة للآب.

صلاة يسوع هذه، التي كانت على ضفاف نهر الأردن كانت صلاة شخصية بصورة كاملة – وستكون كذلك طوال حياته الأرضية – وفي عيد العنصرة، ستصبح بالنعمة صلاة جميع المعمدين في المسيح. هو نفسه نال هذه النعمة لنا، ويدعونا أن نصلّي كما كان يصلّي.

لهذا السبب، إذا شعرنا يومًا في صلاة المساء بالضعف والفراغ، وإذا بدا لنا أنّ الحياة كانت كلُّها عديمة الفائدة، علينا في تلك اللحظة أن نتوسّل حتى تصبح صلاة يسوع صلاتنا أيضًا. قد نقول أحيانًا: «لا أستطيع أن أصلّي اليوم، لا أعرف ماذا أقول: لا أقدر، أنا غير مستحق، غير مستحقة». في تلك اللحظة، من الضّروري أن نسلّم أنفسنا إليه لكي يصلّي من أجلنا. إنّه في تلك اللحظة أمام الآب ويصلّي من أجلنا، فهو الوسيط، ويقدم للآب جروحه من أجلنا.

لنثق بذلك! إن وضعنا فيه ثقتنا، سنسمع إذّاك صوتًا من السماء، أقوىٰ من الصوت الصاعد من أعماق نفسنا الفقيرة، سنسمع هذا الصوت يهمس بكلمات حنان: «الله يحبك، أنت الابن، أنت فرح الآب الذي في السماوات». لنا جميعًا، لكلّ واحد منا، يتردد صدىٰ صوت الآب: حتىٰ لو نبذَنا الجميع، ولو كنا أسوأ الخاطئين. لم ينزل يسوع إلىٰ مياه نهر الأردن من أجله، بل من أجلنا جميعًا. كان كلّ شعب الله الذي اقترب من نهر الأردن يصلّي ويطلب المغفرة ويعتمد من أجل التوبة. وكما يقول ذلك اللاهوتي، اقتربوا من نهر الأردن «النفس عارية والقدمان عاريتان». هذا هو التواضع. من أجل أن نصلّي نحتاج إلىٰ تواضع. فتح السماوات كما فتح موسىٰ مياه البحر الأحمر لكي نمر جميعنا من بعده. وأعطانا يسوع صلاته الخاصة، وهي حوار حبه مع الآب. لقد أعطاها لنا مثل بذرة من الثالوث الأقدس ويريدها أن تترسخ في قلوبنا. فَلْنستقبِلْها! فَلْنستقبِل هذه النعمة، نعمة الصّلاة. دائمًا معه ولن نخطئ.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ٤ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

١٣. يسوع معلّم الصّلاة

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء،صباح الخير!

للأسف، اضطررنا أن نعود إلى المقابلة العامة هذه في مكتبة القصر البابوي من أجل أن نحمي أنفسنا من عدوى فيروس الكورونا. هذا يعلّمنا أيضًا أنّه يجب أن نكون منتبهين جدًا لتعليمات السلطات، سواء السلطات السياسيّة أو السلطات الصحيّة من أجل أن نحمي أنفسنا من هذه الجائحة. لنقدم للرّبّ هذه المسافة المطلوبة بيننا، من أجل خير الجميع ولنفكر، لنفكر كثيرًا في المرضى، الذين يُستَبعَدون من لحظة دخولهم المستشفيات، ولنفكر في الأطباء والممرّضين والممرّضات والمتطوّعين، والكثير من الناس الذين يعملون مع المرضى في هذا الوقت: يخاطرون بحياتهم لكنّهم يفعلون ذلك من أجل محبة القريب وكدعوة. لنصلّي من أجلهم.

لجأ يسوع باستمرار خلال حياته العلنيّة إلى قوة الصّلاة. تُبيِّن لنا الأناجيل هذا عندما تقول لنا إنّه كان يختلي في أماكن منعزلة للصّلاة. إنّها إشارات بسيطة موجزة ورصينة تسمح لنا أن نتصوّر تلك الحوارات في الصّلاة. إنّها تشهد بوضوح أنّه، حتى في أكثر لحظات التفاني للفقراء والمرضى، لم يُهمل يسوع قط حواره الحميم مع الآب. كلّما زاد انغماسه في احتياجات الناس، زاد شعوره

بحاجته إلى أن يستريح في حياة الثالوث الأقدس، أن يعود مع الآب والرّوح القدّس.

يوجد إذًا في حياة يسوع سر، مخفي عن أعين البشر، هو نقطة الارتكاز لكلّ شيء. صلاة يسوع واقع غامض، نرى شيئًا منه فقط، ولكن هذا القليل الذي نراه يسمح لنا بأن نقرأ قراءة صحيحة ونفهم كلّ رسالته كاملة. في تلك الساعات التي كان يختلي فيها – قبل الفجر أو في الليل– كان يسوع يدخل في عمق علاقته الحميمة مع الآب، أي في المحبّة التي تَعْطَش إليها كلّ نفس. هذا ما ظهر منذ الأيام الأولى لخدمته العلنيّة.

يومًا، في يوم سبت، تحولت بلدة كفرناحوم إلى «مستشفى ميداني»: بعد غروب الشمس أحضروا إلى يسوع جميع المرضى، وشفاهم. لكن قبل الفجر غاب عنهم يسوع: اختلى في مكان منعزل وصلّى. بحث سمعان والآخرون عنه وعندما وجدوه قالوا له: «الجميع يطلبونك!». ماذا أجاب يسوع؟: «عليّ أن أذهب لأُبشّر في القرى الأخرى، فإنّي لهذا خَرَجْت»(را. مر ١، ٣٥ –٣٨). يوجد يسوع دائما متنقلًا من مكان إلى آخر، من مهمة إلى أخرى،فهو (يترك الجموع) ويصلّي مع الآب، ثم هو أيضًا، في سائر القرى وفي آفاق أخرى، يذهب ويعظ، شعوبًا أخرى.

الصّلاة هي الدفة التي تُوجه مسار يسوع. ليست النجاحات، ولا إرضاء الناس، ولا تلك العبارة المغرية «الجميع يطلبونك»، التي كانت توجه مراحل رسالته. الطريق الأصعب، هي التي كانت توجّه مسيرة يسوع. وعلاوة على ذلك كان يطيع إلهام الآب الذي كان يسوع يصغي إليه ويستقبله في صلاته في القفر.

يقول التعليم المسيحي: «عندما يصلّي يسوع، فإنّه يعلمنا أن نصلّي» (رقم.٢٦٠٧). لهذا من مثال يسوع يمكننا أن نستدل على بعض ميزات الصّلاة المسيحيّة.

الميزة الأولى، الصّلاة المسيحيّة أولويّة: إنّها أوّل رغبة في اليوم، نصلّي منذ الفجر، قبل أن يستيقظ الناس. إنّها تعيد الرّوح إلى ما يمكن أن يظل بدون روح. يوم بدون صلاة يمكن أن يتحول إلى خبرة مزعجة أو مملة: كلّ ما يحدث لنا يمكن أن يتحول إلى شر نتحمَّله أو إلى قدر أعمى. عكس ذلك، يسوع يُعلمنا الطاعة للواقع والاصغاء. الصّلاة هي قبل كلّ شيء الإصغاء إلى الله واللقاء معه. إذاك لن تكون الصعاب في حياتنا اليومية عقبات، بل نداءات من الله نفسه لنصغي إليه ونلتقي به بكلّ شخص حاضرًا أمامنا. وهكذا تتحوّل تجارب الحياة إلى فرص للنمُوّ في الإيمان والمحبّة. وتكتسب طريقنا اليوميّة، بكلّ ما فيها من تعب، أفقًا جديدًا، فتصبح حياتنا «دعوة». الصّلاة تقدر أن تحوّل إلى خير ما يمكن أن يكون سبب حكم علينا في الحياة، والصلاة تقدر أن تفتح أمامنا أفقًا واسعًا للعقل وتجعل القلب كبيرًا.

الميزة الثانية، الصّلاة فنّ يُمارس بالثبات. قال لنا يسوع نفسه: اقرعوا، اقرعوا، اقرعوا. كلُّنا قادرون على الصّلاة من فترة إلى أخرى، بحسب دفع العاطفة واللحظة، لكن يسوع يُعلمنا نوعًا آخر من الصّلاة: صلاة خاضعة لنظام وتدريب وهي جزء من قانون في الحياة. الصّلاة المستمرة تؤدي إلى تبدل تدريجي، وتجعلنا أقوياء في أوقات الضيق، وتمنحنا النعمة التي بها نجد سندًا من قبل من يحبّنا ويحمينا دائمًا.

ميزة أخرى في صلاة يسوع هي العُزلة. من يصلّي لا يهرب من العالم، بل يُفضّل الأماكن المقفرة. هناك، في الصمت، يمكن أن تظهر لنا أصوات كثيرة تختبئ في داخلنا: أعمق الرغبات تظهر، والحقائق التي نُصّر على خنقها وما إلى ذلك. وفوق كلّ شيء، في الصمت، الله يتكلم. فكلّ إنسان يحتاج إلى مساحة لنفسه، حيث يمكنه تنمية حياته الداخلية، وحيث يجد كلّ عمل معناه. بدون الحياة الداخلية نصبح سطحيين ومضطربين وقلقين- كم يؤلمنا القلق! لهذا يجب أن نذهب إلى الصّلاة، بدون حياة داخلية سنهرب من الواقع وسنهرب

من أنفسنا أيضًا، فنحن رجال ونساء دائمًا نهرب.

الميزة الأخيرة، صلاة يسوع هي المكان الذي ندرك فيه أن كلّ شيء يأتي من الله ويعود إليه. في بعض الأحيان، نعتقد نحن البشر أنّنا أسياد كلّ شيء، أو على العكس نفقد كلّ تقدير لأنفسنا، فنحن ننتقل من جانب إلى آخر. تساعدنا الصّلاة لنجد مكاننا الصحيح في علاقتنا مع الله، أبينا، ومع كلّ الخليقة. وأخيرًا، صلاة يسوع هي أن نسلّم أنفسنا بين يدي الآب، مثل يسوع في بستان الزيتون، في تلك الشِدة قال: «أبتِ إذا كان ممكنًا...، لكن لتكن مشيئتك». أن نسلّم أنفسنابين يدي الآب. إنّه لأمر جميل عندما نضطرب ونشعر بالقلق قليلاً والرّوح القدّس يغيرنا من الداخل ويقودنا إلى هذا الاستسلام بين يدي الآب: «أبت، لتكن مشيئتك»

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، لنُعِدّ اكتشاف يسوع المسيح في الإنجيل معلّمًا للصلاة، ولنذهب إلى مدرسته. أؤكّد لكم أنّنا سنجد الفرح والسلام.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ١١ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

١٤. المثابرة على الصّلاة

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء،صباح الخير!

نواصل التعلّيم المسيّحي في الصّلاة. قال لي أحدهم: «أنت تتحدث كثيرًا في موضوع الصلاة. هذا ليس ضروري». نعم، هذا ضروري. لأنّنا إذا لم نصلّ، فلن نمتلك القوة للمضي قدمًا في الحياة. الصّلاة مثل أكسجين الحياة. الصّلاة هي استدعاء لحضور الرّوح القدس علينا الذي يدفعنا دائمًا إلى الأمام. لهذا السبب، أتحدث كثيرًا في الصّلاة.

كان يسوع مثالًا لنا في الصّلاة المستمرة التي تُمارس بمثابرة. حواره الدائم مع الآب، في صمت وتأمل، هو نقطة ارتكاز لرسالته كلّها. تنقل لنا الأناجيل نصائحه للتلاميذ لكي يصلّوا بإلحاح دون تعب. ويذكّرنا التعليم المسيحي بالأمثال الثلاثة الواردة في إنجيل لوقا التي تؤكد على هذه الميزة في صّلاة يسوع (را. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٦١٣).

يجب أن تتحلى الصّلاة أولًا بالإصرار: على مثال الشخص المذكور في المثل، الذي كان عليه أن يرّحب بضيف جاءه فجأةً. فذهب وطرق باب صديقٍ له في منتصف الليل ليطلب منه بعض الخبز. أجابه صديقه: ـ «لا!»، لأنّه كان نائمًا بالفعل، لكنه ألّح وأصرَّ حتى أجبره على أن ينهض ويعطيه الخبز (را. لو ١١، ٥-٨). إنّه طلب مُلِّح. وصبر الله أجمل من صبرنا، فمن طرق باب قلبه بإيمان

ومثابرة لا يخيب أمله. الله يجيب دائمًا. دائمًا. هو أبونا ويعلم جيدًا ما نحتاج إليه. والإلحاح ليس لإعلام الله أو لإقناعه، بل يفيدنا نحن، لنغذي به رغبتنا وانتظارنا.

والمثل الثاني هو مثل الأرملة التي لجأت إلى القاضي لمساعدتها في أن تنال العدالة. هذا القاضي هو فاسد وهو رجل عديم الضمير، لكنّه في النهاية، لأنه تعب من إلحاح الأرملة، قرر أن يلبي طلبها. (را. لو ١٨، ١-٨).وفكر: «إنما من الأفضل أن أحلّ لها المشكلة وأبعدها، حتى لا تأتي باستمرار لتشكو أمامي». بهذا المثل نفهم أنّ الإيمان ليس اندفاع لحظة، بل هو موقف شجاع للتوسل إلى الله، وحتى «للجدال» معه، دون الاستسلام أمام الشر والظلم.

يُقدم لنا المثل الثالث فريسيًا وعشارًا يذهبان إلى الهيكل للصّلاة. يتوجه الأوّل إلى الله وهو يفتخر باستحقاقاته، بينما يشعر الآخر بأنّه لا يستحق حتى أن يدخل الهيكل. والله لا يستمع إلى صلاة الأوّل أي إلى المتكبرين، ويستجيب لصلاة المتواضعين (را. لو ١٨، ٩-١٤). لا توجد صلاة حقيقية بدون تواضع. إنّ التواضع نفسه هو الذي يقودنا أن نطلب في الصّلاة.

تعليم الإنجيل واضح: يجب أن نصلّي دائمًا، حتى عندما يبدو كلّ شيء عبثًا، عندما يظهر وكأن الله أصمّ وأخرس، وأنّنا نضيع الوقت. وحتى لو أظلمت السماء فإنّ المسيحي لا يتوقف عن الصّلاة. صلاته تسير جنبًا إلى جنب مع الإيمان. والإيمان، في أيام كثيرة من حياتنا، قد يبدو وهمًا، وجهدًا عقيمًا.هناك لحظات مظلمة في حياتنا يبدو فيها الإيمان وهمًا. لكنّ ممارسة الصّلاة تعني أيضًا قبول هذا الجهد.»أبتِ، أنا ذاهب للصّلاة ولا أشعر بشيء... أشعر بهذا، بقلب جاف، بقلب قاحل». لكن علينا أن نواصل السير قدمًا، مع هذا التعب من اللحظات السيئة، من اللحظات التي لا نشعر فيها بأيّ شيء. لقد اختبر العديد من القديسين والقديسات ليلة الإيمان وصمت الله – عندما نقرع ولا يجيب الله – وهؤلاء القديسين ظلوا مثابرين.

في ليالي الإيمان هذه، من يصلّي ليس وحده أبدًا. في الواقع، ليس يسوع

شاهدًا ومعلّمًا للصلاة فحسب، بل هو أكثر من ذلك. إنّه يستقبلنا في صلاته حتى نستطيع أن نصلّي فيه ومن خلاله. وهذا هو عمل الرّوح القدس. لهذا السبب يدعونا الإنجيل للصلاة إلى الآب باسم يسوع. يقول القديس يوحنا كلمات الرّبّ هذه: «فكُلَّ شيءٍ سأَلتُم بِاسْمي أَعمَلُه لِكَي يُمَجَّدَ الآبُ في الإِبْن» (١٤، ١٣). ويشرح التعلّيم المسيّحي بأنّنا «أكيدون أننا سنستجاب على أساس صلاة يسوع» (عدد ٢٦١٤). وصلاة يسوع هذه تعطينا الأجنحة التي طالما أردنا امتلاكها لصلاتنا.

كيف لا نذكر هنا كلمات المزمور ٩١، المليئة بالثقة، والمتدفقة من قلب يرجو كلّ شيء من الله: «يُظَلَّلكَ بِريشِه وتَعتَصِمُ تَحتَ أَجنِحَتِه وحَقُّه يكونُ لَكَ تُرسًا ودِرْعًا. فلا تَخْشى اللَّيلَ تبقى وأَهوالَه ولا سَهْمًا في النَّهارِ يَطير ولا وَباءً في الظَّلامِ يَسْري ولا آفَةً في الظَّهيرةِ تَفتُك» (الآيات ٤-٦). في المسيح تحققت هذه الصّلاة الرائعة، وفيه تجد حقيقتها الكاملة. بدون يسوع، تكاد صلواتنا أن تبقى جهودًا بشريّة فقط، مصيرها الفشل في معظم الأحيان. لكنّ يسوع أخذ على عاتقه كلّ صرخة لنا، كلّ أنين، كلّ ابتهاج، كل تضرع ... كلّ صلاة بشريّة. ولا ننسى الرّوح القدس الذي يصلّي فينا. هو الذي يقودنا للصّلاة، ويقودنا إلى يسوع. هو عطية أعطانا إياها الآب والابن حتى ننطلق إلى اللقاء مع الله. والرّوح القدس، عندما نصلّي، هو الرّوح القدس الذي يصلّي في قلوبنا.

المسيح هو كلّ شيء لنا، في حياتنا وصلاتنا. قال هذا القديس أغسطينس بتعبير نيّر نجده أيضًا في التعلّيم المسيّحي: «إنّه يصّلي لأجلنا لأنه الكاهن لنا، ويصلّي فينا لأنه رأسنا، ونصلّي إليه لأنه إلهنا. فلنتعرف إذن على صوتنا فيه وعلى صوته فينا» (رقم. ٢٦١٦). ولهذا فإنّ المسيحي الذي يصلّي لا يخاف شيئاً، بل يوكل نفسه للرّوح القدس الذي أُعطِي لنا مثل عطية والذي يصلّي فينا، ويحثنا على الصّلاة. ليكن الرّوح القدس نفسه، معلّم الصّلاة، من يعلّمنا طريق الصّلاة.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ١٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

١٥. العذراء مريم المرأة المصلِّيَة

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء،صباح الخير!

في مسيرتنا في التعلّيم المسيحي في موضوع الصّلاة، نلتقي اليوم بمريم العذراء المرأة المصلِّيَة. كانت السيدة العذراء تصلّي. عندما كان العالم لا يعرفها بعد، وهي فتاة بسيطة مخطوبة لرجل من بيت داود، كانت مريم تصلّي. يمكننا أن نتخيل الشابة من الناصرة مختلية في صمت، في حوار مستمر مع الله، الذي سيَكِلُ إليها رسالتها بعد قليل. كانت ممتلئة نعمةً ونقية منذ أن حُبل بها، لكنها لم تكن تعرف بعد شيئًا عن دعوتها المذهلة وغير العادية وعن البحر الهائج الذي سيتعين عليها الإبحار فيه. شيء واحد مؤكد: مريم تنتمي إلى مجموعة كبيرة من متواضعي القلب الذين لم يدرجهم المؤرخون الرسميون في كتبهم، لكن الله أعد بهم مجيء ابنه.

مريم لم توجِّهْ حياتها بشكل مستقل: كانت تنتظر أن يوجِّهَ الله مسيرتها ويقودها حيث يشاء. كانت مطيعة، وباستعدادها هذا، أعدّت الأحداث العظيمة التي سيدخل الله بها في العالم. يذكرنا التعلّيم المسيحي بحضورها الدائم والمتنبِّه في خطة الآب المُحِبَة للبشريّة، وفي حياة يسوع كلّها (را. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٦١٧-٢٦١٨).

كانت مريم تصلّي عندما جاء رئيس الملائكة جبرائيل يبشّرها في الناصرة. جوابها «هاأنذا»، صغير وكبير، جعل الخليقة بأكملها، في تلك اللحظة، تقفز من الفرح، وقد سبقَ جوابَها في تاريخ الخلاص عديدون قالوا مثلها «هاأنذا»، ففي جميعهم مثلها طاعة واثقة، واستعداد لقبول مشيئة الله. لا توجد طريقة أفضل للصّلاة من أن نضع أنفسنا مثل مريم في موقف المستعِدّ والقلب المنفتح على الله قائلين: «يا ربّ، ما تريد، ومتى تريد، وكيفما تريد». أي أنّ القلب منفتح على مشيئة الله. والله يجيب دائمًا. كم من المؤمنين يعيشون صلاتهم هكذا! هؤلاء الذين هم أكثر تواضعًا في القلب يصلون هكذا: بتواضع أساسي، لنقل هكذا، بتواضع بسيط:»يا ربّ، ما تريد، ومتى تريد، وكيفما تريد». وهؤلاء الذين يصلون هكذا، لا يغضبون لأنّ الأيّام مليئة بالمشاكل، بل يواجهون الواقع كما هو، ويعرفون أنّنا نصبح، بالمحبة المتواضعة، بالمحبة التي نعيشها في كلّ حالة، أدوات لنعمة الله.يا ربّ، ما تريد، ومتى تريد، وكيفما تريد. صلاة بسيطة، لكنها تضع حياتنا في يدَي الرّبّ: ليهدنا الرّبّ. يمكننا جميعًا أن نصلّي هكذا، تقريبًا بدون كلام.

الصّلاة تُروِّض القلق: لكن، نحن قلقون، نريد دائمًا الأشياء قبل أن نطلبها ونريدها على الفور. هذا القلق يؤلمنا، والصّلاة تعرف كيف تُروِّض القلق، وتعرف كيف تحوّله إلى استعداد للقبول.عندما أشعر بالقلق، أذهب لأصلي والصّلاة تفتح قلبي وتجعلني مستعدًا لمشيئة الله. استطاعت العذراء مريم، في تلك اللحظات القليلة في أثناء البشارة، أن تُبعد الخوف عنها، على الرّغم من أنّها توقعت أنّ جوابها «نعم» سيحمل إليها محِنًا شديدة جدًا. إذا فهمنا في الصّلاة أنّ كلّ يوم يقدمه الله لنا هو دعوة، فإنّنا سنُوّسع قلوبنا وسنرّحب بكلّ شيء. وسنتعلم أن نقول: «ما تريده يا ربّ. فقط أعدني أنك ستكون حاضرًا معي في كلّ خطوة في طريقي».هذا هو الشيء المهم: أن نسأل الرّبّ عن حضوره في كلّ خطوة في طريقنا: وألا يتركنا لوحدنا، وألا يتخلى عنا في التجربة، وألا يتنازل

عنا في اللحظات السيئة. إنّ نهاية صلاة الأبانا هي هكذا: أن نطلب من الرّبّ النعمة التي علّمنا إياها يسوع نفسه.

رافقت مريم كلّ حياة يسوع في الصّلاة، وحتىٰ في موته وقيامته، واستمرت ورافقت في النهاية الخطوات الأولىٰ للكنيسة الناشئة (را. رسل ١، ١٤). صلّت مريم مع التلاميذ الذين مرّوا بمعثرة الصليب. صلّت مع بطرس الذي استسلم للخوف وبكىٰ نادمًا. مريم موجودة هناك، مع التلاميذ، وسط الرجال والنساء الذين دعاهم ابنها لإنشاء جماعته. لم تكن مريم كاهنًا بينهم، لا! بل كانت أم يسوع التي صلّت معهم، في الجماعة، كواحدة من الجماعة. صلّت معهم وصلّت من أجلهم. ومرة أخرىٰ، سبقت صلاتُها المستقبلَ الذي كان علىٰ وشك أن يتحقق: بقوة الرّوح القدس، أصبحت مريم والدة الله، وبقوة الرّوح القدس، أصبحت أم الكنيسة.صلّت مع الكنيسة الناشئة، وأصبحت أم الكنيسة، ورافقت التلاميذ في أولىٰ خطوات الكنيسة في الصّلاة، وهي تنتظر الرّوح القدس. كانت في صمت ودائمًا في صمت. كانت صّلاة مريم صامتة. يروي لنا الإنجيل عن صلاة واحدة لمريم: في قانا، عندما طلبت من ابنها، من أجل الناس المساكين، الذين هم علىٰ وشك أن يتعرضوا للسخرية في العرس. لنتخيل: إقامة حفل زفاف وإنهائه ببعض الحليب لأنّه لم يكن هناك نبيذ! يا للسخرية! هي صلّت وطلبت من ابنها أن يحل هذه المشكلة. إنّ حضور مريم في حد ذاته صلاة، وحضورها بين التلاميذ في العليّة في انتظار الرّوح القدس صلاة. هكذا ولدت مريم الكنيسة، وأصبحت أم الكنيسة. يشرح التعليم المسيحي ذلك إذ يقول: «وجدت هبةُ الله - أي الرّوح القدس -، في إيمان أمته المتواضعة، القبول الذي كان ينتظره منذ بداية الأزمنة» (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٦١٧).

في العذراء مريم، يتعزز الشعور النسائي الطبيعي من خلال اتحادها الفريد مع الله في الصّلاة. لهذا السبب، عند قراءة الإنجيل، نلاحظ أنّها تبدو أحيانًا

مختفية، ثم تظهر مرة أخرى في اللحظات الحاسمة: كانت مريم منفتحة على صوت الله الذي يقود قلبها وخطواتها حيث يلزم حضورها. حضور صامت للأم والتلميذة. مريم كانت حاضرة لأنها أم، لكنها أيضًا حاضرة لأنّها التلميذة الأولى، التي تعلّمت الأمور بشكل أفضل من يسوع. لم تقل مريم أبدًا: «تعالوا، وسأحل الأمور». لكنها قالت: «افعلوا ما سيقوله لكم»، مشيرة دائمًا إلى يسوع. هذا الموقف هو ميزة التلميذ، وهي التلميذة الأولى: صلّت مثل الأم وصلّت مثل التلميذة.

«وكانَت مَريمُ تَحفَظُ جَميعَ هذهِ الأُمور، وتَتَأَمَّلُها في قَلبِها» (لو ٢، ١٩). هكذا رسم الإنجيلي لوقا صورة والدة الرّبّ في إنجيل الطفولة. كلّ ما يحدث من حولها كانت تتأمّل فيه في أعماق قلبها: الأيام المليئة بالفرح، وأحلك اللحظات، عندما جاهدت هي أيضًا لفهم الطرق التي يجب أن يمر بها الفداء. كلّ شيء ينتهي في قلبها، لأنّه يمر عبر مصفاة الصّلاة وبها يتجلّى. سواء كانت هدايا المجوس، أو الهروب إلى مصر، وحتى في جمعة الآلام الرهيبة: كلّ شيء كانت الأم تحفظه وتحمله في حوارها مع الله. لقد شبّه أحدهم قلب مريم بلؤلؤة ذاتِ جمال لا يُضاهى، كوَّنها وصقَلها قبولها الصبور لمشيئة الله من خلال أسرار يسوع التي كانت تتأمّل فيها في الصّلاة. كم يكون جميلًا لو أمكننا نحن أيضًا أن نشبه أمنا قليلاً! بقلب منفتح على كلمة الله، وبقلب صامت، وبقلب مطيع، وبقلب يعرف كيف يستقبل كلمة اللهوينمّيه مثل بذرة لخير الكنيسة.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ٢٥ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

١٦. صلاة الكنيسة الناشئة

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

رافقَتْ الصلاة الخطوات الأولى للكنيسة في العالم. الكتابات الرسوليّة ورواية سفر أعمال الرسل البليغة تقدم لنا صورة كنيسة تسير على الطريق، كنيسة نشطة، ولكنها مع ذلك تجد في اجتماعات الصّلاة الأساس والاندفاع إلى العمل الرسولي. إنّ صورة الجماعة الأولى في القدس/ أورشليم هي مرجع لكلّ خبرة مسيحية أخرى. كتب لوقا في سفر أعمال الرسل: «وكانوا يُواظِبونَ على تَعليمِ الرُّسُل والمُشاركة وكَسْرِ الخُبزِ والصَّلَوات» (٢، ٤٢). كانت الجماعة تواظب على الصّلاة.

نجد هنا أربع ميزات أساسيّة للحياة الكنسيّة: أولًا الإصغاء إلى تعليم الرسل، وثانيًا المحافظة على حياة الشركة المتبادلة، وثالثًا كسر الخبز، ورابعاً الصّلاة. تذكرنا هذه الميزات بأنّ وجود الكنيسة له معنى إذا بقيت متحدة وكان اتحادها قويًّا في المسيح، أي في الجماعة وفي كلمته وفي الإفخارستيا وفي الصّلاة. إنّها طريقة اتحادنا في المسيح. الوعظ والتعليم يشهدان على كلام المعلّم وأعماله. والبحث الدائم عن الشركة الأخوية يحمي من الأنانيات والخصوصيات. وكسر الخبز يحقق سرّ وجود يسوع بيننا: لن يغيب عنا أبدًا، إنّه موجود تمامًا

في الافخارستيا. إنّه يعيش معنا ويسير معنا. وأخيرًا الصّلاة التي هي مساحة الحوار مع الآب بوساطة المسيح وفي الرّوح القدس.

كلّ ما ينمو في الكنيسة خارج هذه «الميزات المتناسقة» يكون بلا أساس. لتمييز حالة ما، يجب أن نسأل أنفسنا هل، في هذه الحالة، توجد هذه الميزات الأربعة المتناسقة: التبشير، والبحث المستمر عن الشركة الأخوية -المحبة-، وكسر الخبز - أي الحياة الإفخارستية - والصّلاة. يجب تقييم أي حالة في ضوء هذه الميزات الأربعة المتناسقة. كلّ ما لا يدخل في هذه الميزات المتناسقة يكون بلا أساس كنسي، وليس كنسيًا. الله هو الذي يبني الكنيسة وليس ضجيج الأعمال. الكنيسة ليست سوقًا. الكنيسة ليست مجموعة من رجال الأعمال الذين يتقدمون في هذا المشروع الجديد. الكنيسة هي عمل الرّوح القدس الذي أرسله يسوع لنا ليجمعنا. الكنيسة بالتحديد هي عمل الرّوح القدس في الجماعة المسيحيّة، وفي الحياة الجماعيّة، وفي الإفخارستيا، وفي الصّلاة دائمًا. وكلّ ما ينمو خارج هذهالميزات المتناسقة يكون بلا أساس، إنّه مثل بيت مبني على الرمل (را. متى ٧، ٢٤-٢٧).الله هو الذي يبني الكنيسة وليس ضجيج الأعمال. كلمة يسوع هي التي تعطي معنى لجهودنا. وبالتواضع يُبنى مستقبل العالم.

أشعر أحيانًا بحزن شديد عندما أرى جماعة ما، بحسن نيّة، تسلك الطريق الخطأ لأنّها تعتقد أنها تبني الكنيسة في التجمعات، وكأنّها حزب سياسي: الأغلبية، الأقلية، ماذا يفكر هذا، ذلك، الآخر... «هذا مثل السينودس، إنّه طريق السينودس الذي يجب أن نسلكه». أسأل نفسي: أين الرّوح القدس هناك؟ أين الصّلاة؟ أين المحبة الجماعيّة؟ أين الإفخارستيا؟ بدون هذه الميزات الأربعة المتناسقة، تصبح الكنيسة مجتمعًا بشريًا، وحزبًا سياسيًا - أغلبية، وأقلية -، وتحدث التغييرات كما لو كانت مؤسسة تجاريّة، بأغلبية أو أقلية... لكن بدون الرّوح القدس. وتضمن هذه الميزات الأربعة المتناسقة حضور الرّوح القدس. لتقييم حالة ما، سواء كانت كنسيّة أم لا، لنسأل أنفسنا إذا كانت هناك

هذه الميزات الأربعة المتناسقة: الحياة الجماعيّة، والصّلاة، والإفخارستيا... [والتبشير]، وكيف تتطور الحياة في هذه الميزات الأربعة المتناسقة. إذا نقصت هذه الميزات، غاب الرّوح القدس، وإذا غاب الرّوح القدس، فسنكون جمعيّة إنسانيّة جميلة، للأعمال الخيريّة، حسنًا، حسنًا، وحتى حزب، ولنقل هكذا، سنكون جمعيّة كنسيّة ولكن لا توجد كنيسة. ولهذا السبب لا تستطيع الكنيسة أن تنمو بفضل هذه الأشياء: فهي لا تنمو بمحاولة كسب أتباع لها، مثل أي مؤسسة تجاريّة، بل تنمو عن طريق جذب الناس إليها. ومن الذي يحرك عملية الجذب هذه؟ الرّوح القدس. لا ننسى أبداً كلمات البابا بندكتس السادس عشر هذه: «الكنيسة لا تنموبمحاولة كسب أتباع لها، إنها تنمو بجذب الناس إليها». إذا غاب الرّوح القدس، وهو الذي يجذب الناس نحو يسوع، فهناك لا توجد كنيسة. سيكون هناك نادٍ لطيف من الأصدقاء، حسنًا، لديهم نوايا حسنة، لكن لا توجد كنيسة، ولا يوجد روح سينودسي.

لذلك نكتشف، عند قراءة سفر أعمال الرسل، أنّ المحرك القوي لحمل بشارة الإنجيل هو اجتماعات الصّلاة، فيها يختبر المشاركُ بصورة حية حضورَ يسوع ويتأثر بالرّوح القدس. أدرك أعضاء الجماعة الأولى – وهذا صحيح دائمًا، حتى بالنسبة لنا اليوم – أنّ قصة اللقاء مع يسوع لم تتوقف بعد الصعود، بل استمرت في حياتهم. عندما نروي ما قاله وفعله الرّبّ يسوع – الإصغاء إلى الكلمة – وعندما نصلّي حتى ندخل في شركة معه، يصبح كلّ شيء حيًا. فالصّلاة أفاضت فيهم النور والدِّفء: وموهبة الرّوح القدس ولّدت فيهم الحماس.

في هذا الصدد، نجد في التعليم المسيحي عبارة كثيفة المعنى. يقول هكذا: «الرّوح القدس يذكِّر كنيسته المصليّة بالمسيح، ويقودها إلى الحقيقة كلّها، ويحمل على إيجاد صيغٍ أخرى تعبّر عن سرّ المسيح الذي لا يستقصى، والعامل في الحياة والأسرار وفي رسالة كنيسته» (٢٦٢٥). هذا هو عمل الرّوح القدس

في الكنيسة: يذكِّر بيسوع. قالها يسوع نفسه: سيعلمكم وسيذكركم. الرسالة هي أن نتذكر يسوع ولكن ليس كتدريب للذاكرة. المسيحيون، الذين يسيرون في طرق الرسالة، يتذكرون يسوع عندما يجعلونه حاضرًا مرة أخرى، ومنه، من روحه القدوس، يتلقون «الدافع» ليذهبوا ويعلنوا ويخدموا. في الصّلاة يَغمُر المسيحيُّ نفسَه في سرّ الله الذي يحب كلّ إنسان، ذلك الله الذي يريد أن يُبَشَّر الإنجيل للجميع. الله هو الله للجميع. في يسوع هُدِمَ نهائيًا كلّ جدار فاصل: كما قال القديس بولس، هو سلامنا، أي «فقَد جَعَلَ مِنَ الجَماعتَينِ جَماعةً واحِدة» (أف ٢، ١٤). صنع يسوع الوَحدة.

وهكذا امتلأت حياة الكنيسة الأولى بسلسلة متواصلة من الاحتفالات والابتهالات وأوقات الصّلاة الجماعيّة والشخصيّة. والرّوح القدس هو الذي منح القوة للواعظين الذين ساروا على الطرق، ومن أجل حب يسوع ركبوا البحار وواجهوا الأخطار وقبلوا المذلات.

الله يعطي الحب، والله يطلب الحب. هذا هو الأصل الروحي لكلّ حياة مؤمنة. عاش المسيحيون الأوائل هذه الخبرة في الصّلاة، ونحن أيضًا من بعدهم، بعد عدة قرون، نعيش جميعًا نفس الخبرة. الرّوح القدس ينعش كلّ شيء. وكلّ مسيحي لا يخاف أن يكرس وقتًا للصّلاة يمكنه أن يردِّد كلمات الرسول بولس: «وإِذا كُنتُ أَحْيا الآنَ حَياةً بَشَرِيَّة، فإِنِّي أَحْياها في الإِيمانِ بِابنِ الله الَّذي أَحبَّني وجادَ بِنَفْسِه مِن أَجْلي» (غل ٢، ٢٠). فالصّلاة تجعلك تدرك هَذا. فقط، في صمت السجود، تُختبر الحقيقة الكاملة الكامنة في هذه الكلمات. يجب أن نستعيد معنى السجود. أن نسجد، أن نسجد لله، وأن نسجد ليسوع، وأن نسجد للرّوح القدس. الآب والابن والرّوح القدس: أن نسجد لهم. في صمت. صلاة السجود هي الصّلاة التي تجعلنا نعترف أنّ الله هو بداية ونهاية كلّ التاريخ. وهذه الصّلاة إنّها نار الرّوح الحيّة التي تمنح القوة للشهادة وللرسالة. شكرًا.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ٢ ديسمبر/ كانون الأوّل ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

١٧. البركة

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

نركز اليوم على وجه أساسي من أوجه الصّلاة وهو: البركة. ما زلنانستمر في التأمل في الصّلاة. في قصة الخلق (را. تك ١-٢) نجد الله يبارك الحياة باستمرار، دائمًا. بارك الحيوانات (١، ٢٢)، وبارك الرجل والمرأة (١، ٢٨)، وأخيراً بارك يوم السبت، يوم الراحة والتمتع بكلّ الخليقة (٢، ٣).الله هو الذي يبارك. نجد في الصفحّات الأولى من الكتاب المقدس تكرارًا مستمرًّا للبركة. الله يبارك، والناس أيضًا يباركون، ونكتشف سريعا أنّ البركة لها قوة خاصّة، ترافق من يقبلها كل حياته، وتهيئ قلب الإنسان فيسمح لله أن يغيِّرَه (را. المجمع الفاتيكاني الثاني، دستور في الليتورجيا المقدسة، ٦١).

في بداية العالم كان الله «يقول-خيرًا»، يقول-خيرًا، يقول-خيرًا (أي يبارك). رأى أنّ كلّ أعماله كانت حسنة وجميلة، وعندما وصل إلى الإنسان، واكتمل الخَلْق، رأى أنّه «حَسَنٌ جِدًّا» (تك ١، ٣١). بعد قليل، سيتغير هذا الجمال الذي وضعه الله في عمله، وسيصبح الإنسان مخلوقًا متَدَنِّيًا، قادرًا أن ينشر الشرّ والموت في العالم. لكن لن يقدر أي شيء أن يمحو طابع الله الأوّلي، طابع الخير الذي وضعه الله في العالم، وفي الإنسان، وفينا جميعًا وهو: القدرة أن

نُبارِك وأن نكون مباركين. لم يخطأ الله لمَّا خَلَق، ولا لمّا خلقَ الإنسان. إنّ رجاء العالم يكمن كلُّه في بركة الله: فهو ما زال يريد لنا الخير. هو أولاً، كما يقول الشاعر بيجي[١]، ما زال يرجو ما هو خير لنا.

بركة الله الكبرىٰ هي يسوع المسيح. إنّ نعمة الله الكبرىٰ، هي ابنه. إنّها بركة للبشريّة جمعاء، إنّها البركة التي خلصتنا جميعًا. هو الكلمة الأزلي الذي به باركنا الآب لمَّا «كُنَّا خاطِئين» (روم ٥، ٨). قال القديس بولس: الكلمة صار جسداً ووهب ذاته من أجلنا علىٰ الصليب.

أعلن القديس بولس بتأثر تدبير محبة الله لنا وقال هكذا: «تَبارَكَ اللهُ أَبو رَبِّنا يسوعَ المسيح. فقَد بارَكَنا كلَّ بَرَكَةٍ روحِيَّة في السَّمَواتِ في المَسيح ذلِك بِأَنَّه اختارَنا فيه قَبلَ إِنشاءِ العالَمِ لِنكونَ في نَظَرِه قِدِّيسينَ بِلا عَيبٍ في المَحبَّة وقَدَّرَ لَنا مُنذُ القِدَم أَن يَتَبَنَّانا بِيَسوعَ المسيح علىٰ ما ارتَضَته مَشيئَتُه لِلتَّسبيحِ بِمَجدِ نِعمَتِه الَّتي أَنعَمَ بِها علَينا في الحَبيب» (أف ١، ٣-٦). لا توجد خطيئة يمكن أن تُلغيّ كلّيًا صورة المسيح الحاضر في كلّ واحد منا. لا يمكن لأي خطيئة أن تلغيّ تلك الصورة التي أعطانا إياها الله. صورة المسيح. يمكن للإنسان أن يشوهها، لكنه لا يستطيع أن ينتزعها من رحمة الله. ويمكن للخاطئ أن يبقىٰ في أخطائه مدة طويلة، لكن الله يصبر حتىٰ النهاية، ويرجو أن ينفتح هذا القلب في النهاية ويتغير. الله مثل الأب الطيب والأم الطيبة، وهو أيضًا الأم الطيبة: لا يتوقفان أبدًا عن حب ابنهم، مهما أخطأ، دائمًا. أتذكر المرات العديدة التي رأيت فيها الناس يصطفون في طابور للدخول إلىٰ السجن. تصطف العديد من الأمهات في الطابور للدخول ورؤية ابنهن السجين: لا يتوقفن عن حب ابنهن ويعرفن أنّ الناس الذين يمرون في الحافلة يفكرون «آه، هذه هي أم السجين». ومع ذلك فهن لا يخجلن من هذا، أو بالأحرىٰ يخجلن لكنهن يستمررن، لأنّ الأهم هو الابن وليس الخجل. وهكذا فنحن أكثر أهمية عند الله من كلّ الخطايا التي يمكن أن نرتكبها، لأنّه أب، وأم، وحب نقي، وهو باركنا إلىٰ الأبد. ولن

يتوقف أبدًا عن مباركتنا.

قراءة هذه النصوص من الكتاب المقدس عن البركة في السجن، أو في مؤسسة إصلاح، تثير في النفس خبرة قوية. أن نجعل هؤلاء الأشخاص يشعرون أنهم ما زالوا مباركين على الرّغم من أخطائهم الجسيمة، وأنّ الآب السماوي ما زال يريد خيرهم ويرجو أن ينفتحوا أخيرًا على الخير. حتى لو تخلى عنهم أقرب أقربائهم، لأنّهم حكموا عليهم أنهم غير قابلين للإصلاح، لله، هم دائمًا أبناؤه. لا يقدر الله أن يلغيّ فينا صورة الابن، فكلّ منا ابن وابنة. في بعض الأحيان نرى معجزات تحدث: رجال ونساء يولدون من جديد. لأنهم يجدون هذه البركة التي مسحتهم مثل الأبناء. لأنّ نعمة الله تغير الحياة: فهي تحل علينا كما نحن، لكنها لا تتركنا أبدًا كما نحن.

لنتأمل مثلًا في ما فعله يسوع مع زكا (را. لو ١٩، ١-١٠). رأى الجميع فيه الشر. أما يسوع فقد رأى فيه شيئًا من الخير، ومن هنا، من خلال فضوله لرؤية يسوع، مرَّر يسوع رحمته التي تخلّص. وهكذا تغيّر قلب زكا أولاً ثم تغيرت حياته. كان يرى يسوع، في الأشخاص المنبوذين والمرفوضين، بركة الآب التي لا تُمحَى. زكا هو خاطئ علني، ولقد فعل الكثير من الأشياء السيئة، لكن رأى يسوع فيه تلك العلامة التي لا تُمحَى لبركة الآب ومن هناك أتت الشفقة. تلك العبارة التي تتكرر كثيرًا في الإنجيل، «لقد أشفق عليه»، وتلك الشفقة تدفعه إلى مساعدته وتغيير قلبه. وأكثر من ذلك، فقد تنازل وتماهى مع كلّ إنسان محتاج (را. متى ٢٥، ٣١-٤٦). في مقطع «البروتوكول» الأخير الذي سندان عليه جميعًا، في انجيل متى فصل ٢٥، قال يسوع: «كنت جائعًا، وعارياناً، وفي السجن، وفي المستشفى، كنت أنا هناك...».

الله يبارك، ونجيب بأن نبارك نحن أيضًا -علّمنا الله أن نُبارِك ويجب علينا أن نُبارِك-: في صلاة التسبيح والسجود والشكر. يقول التعليم المسيحي: «صلاة البركة هي جواب الإنسان على عطايا الله: فلأن الله يبارك، يقدر قلب

الإنسان أن يرد ويبارك الله الذي هو أصل كلّ بركة» (رقم ٢٦٢٦). الصّلاة فرح وعرفان جميل. الله لم ينتظر أن نتوب حتى يبدأ بمحبتنا، أحبنا قبل ذلك بكثير، لمّا كنّا ما زلنا في الخطيئة.

هذا الإله الذي يباركنا لا نستطيع إلّا أن نباركه، يجب أن نُبارِك فيه كلّ شيء، كلّ الناس، وأن نبارك الله وأن نبارك الإخوة، وأن نبارك العالم: هذا هو أصل الوداعة المسيحية، القدرة أن نشعر أننا مباركين والقدرة أن نبارك. إذا فعلنا ذلك جميعًا، فلن توجد الحروب بالتأكيد. هذا العالم يحتاج إلى البركة ويمكننا أن نعطي البركة وأن نناها. الآب يحبنا. ولا يسعنا إلّا أن نفرح بمباركته وأن نفرح بشكره، وأن نتعلم منه أن لا نقول قولًا سيئًا، بل قولًا حسنًا، أن نبارك.وهنا أوجه مجرد كلمة للناس الذين اعتادوا أن يقولوا قولًا سيئًا، الناس الذين لديهم دائمًا كلمة سيئة ولعنة، في الفم، وحتى في القلب. يمكن لكلّ منا أن يفكر: هل لدي هذه العادة في أن أقول قولًا سيئًا مثل هذا؟ واطلب من الرّبّ يسوع نعمة أن يغير هذه العادة لأن لنا قلبًا مباركًا ومن قلب مبارك لا يخرج القول السيء. ليعلمنا الرّبّ يسوع أن لا نقول قولًا سيئًا بل نبارك.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ٩ ديسمبر/ كانون الأوّل ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

١٨. صلاة الطلب

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

نواصل تأملاتنا في الصّلاة. الصّلاة المسيحيّة هي صلاة إنسانيّة بكل معنى الكلمة – نحن نصلّي كبشر، وكما نكون –، وتشمل التسبيح والابتهال. في الواقع، عندما علّم يسوع تلاميذه أن يصلّوا، علّمهم صلاة «أبانا»، حتى نتمكن من أن نضع أنفسنا في علاقة ثقة بنويّة مع الله وأن نوجّه إليه جميع طلباتنا. نبتهل إليه ونطلب أسمى العطايا: تقديس اسمه بين الناس، ومجيء ملكوته، وتحقيق مشيئته الخيِّرة في العالم. يذكّر التعليم المسيحي أنّ: «في الطلب يوجد تراتبيّة: أولاً نطلب الملكوت، وبعده ما هو ضروري لقبوله وللمساهمة في مجيئه» (رقم ٢٦٣٢). ولكن في صلاة «أبانا» نصلّي أيضًا من أجل أبسط العطايا، ومن أجل أكثرها ضرورة لنا، مثل «الخبز اليومي» – والذي يعني أيضًا الصّحة، والبيت، والعمل، والأشياء اليوميّة وأيضًا يعني الإفخارستيا، الضرورية للحياة في المسيح –، وكذلك نصلّي أيضًا من أجل غفران الخطايا – وهو أمر يومي، نحتاج دائمًا إلى المغفرة – وبالتالي السلام في علاقاتنا، ونسأل الله أخيرًا أن يعيننا في التجارب ويحرّرنا من الشّر.

الطلب والتضرع هما شيء إنساني جدًا. لنُصغِ مرّة أخرى إلى التعلّيم

المسيحي: «في صلاة الطلب، نعبّر عن وعينا أننا مرتبطون بالله: فبكوننا خلائق، نحن لسنا أصل أنفسنا، ولسنا الأسياد في الشدائد، ولسنا نحن الغاية الأخيرة لأنفسنا، وعلاوة على ذلك، نحن نعلم كمسيحيين أنّنا حين نخطأ فإننا نبتعد عن الآب. والطلب نفسه هو بدء الرجوع إليه تعالى» (رقم ٢٦٢٩).

إذا شعر أحد بالسوء لأنّه فعل أمورًا سيئة – فهو خاطئ – عندما يصلّي صلاة أبانا، فإنّه يقترب بالفعل من الرّبّ. في بعض الأحيان قد نعتقد أننا لسنا بحاجة إلى أيّ شيء، وأنّنا مكتفون بما لدينا وأنّنا نعيش في أقصى درجات الاكتفاء الذاتي.يحدث هذا أحيانًا! لكن عاجلاً أم آجلاً يتلاشى هذا الوهم. الإنسان هو سؤال، يصبح أحيانًا صرخة، وغالبًا مختنقة فينا. تشبه النفس الأرض القاحلة العطشى، كما يقول المزمور (را. مز ٦٣، ٢). كلّنا نختبر، في وقت أو آخر من وجودنا، فترة كآبة أو وَحدة. لا يخجل الكتاب المقدس أن يظهر حالة الإنسان التي تتميز بالمرض والظلم وخيانة الأصدقاء أو تهديد الأعداء. في بعض الأحيان يبدو أن كلّ شيء ينهار، وأن الحياة التي نعيشها حتى الآن قد ذهبت سدى. وفي هذه الحالات التي تبدو أمرًا ميئوسًا منه، لا يوجد سوى مخرج واحد: الصراخ، والصّلاة: «يا ربّ، ساعدني!». الصّلاة تفتح ثغرات نور في أشد الظلمات سوادًا. «يا ربّ ساعدني!». هذه الصّلاة تفتح الطريق والمسيرة.

نحن البشر نشارك الخليقةَ كلّها في طلب المساعدة. لسنا وحدنا «نصلّي» في هذا الكون المتهدم: كلّ جزء في الخليقة يحمل في ذاته الشوق إلى الله. وعبّر القديس بولس عن هذا الواقع بهذه الكلمات. قال هكذا: «فإِنَّنا نَعلَمُ أَنَّ الخَليقةَ جَمْعاءَ تَئِنُّ إِلى اليَومِ مِن آلامِ المَخاض، ولَيسَت وَحْدَها، بل نَحنُ الَّذينَ لَنا باكورةُ الرُّوحِ نَئِنُّ في البَاطِن» (روم ٨، ٢٢-٢٤). يدَوِّي فينا أنين الخلائق المتعدد الأشكال: الشجر والصخر والحيوان... كلّ شيء يتوق إلى الكمال. كتب ترتليانُس: «كلّ مخلوق يصلّي، والحيوانات والوحوش تصلّي وتثني

ركبها. عندما تخرج من الاسطبلات أو الأوكار ترفع رأسها إلى السماء ولا تبقى صامتة، بل يرتفع صراخها بحسب طبيعتها. وحتى الطيور، بمجرد أن ترفرف، ترتفع في السماء وتنشر أجنحتها كما لو كانت أيديًا على شكل صليب، وتغرد شيئًا يشبه الصّلاة» (من الصّلاة، ٢٩).هذا تعبير شعري للتعليق على ما قاله القديس بولس «أنّ كلّ الخليقة تَئِنُّ، وتصلّي». لكننا الوحيدون الذين نصلّي بوعي، وندرك أنّنا نتوجه في صلاتنا إلى الآب، وندخل في حوار معه.

لذلك، يجب ألا نتشكك إذا شعرنا بالحاجة إلى أن نصلّي، وألا نخجل. وخاصة عند الضّرورة، أن نسأل. تحدث يسوع عن رجل غير أمين عليه أن يؤدي الحسابات لسيدّه. قال: «أنا أخجل أن أسأل». والكثير منّا لديه هذا الشعور: نخجل أن نسأل، وأن نطلب المساعدة، وأن نطلب من أحدهم شيئًا يساعدنا على القيام للوصول إلى هذا الهدف، وأيضًا نخجل أن نطلب إلى الله. يجب ألا نخجل أن نصلّي وأن نقول: «يا ربّ، أنا بحاجة إلى هذا»، «يا ربّ، أنا في هذه الصعوبة»، «ساعدني!». إنّها صرخة القلب نحو الله الآب. ويجب أن نتعلمَ الصلاة حتى في أوقات اليسر، فنشكرَ الله على كلّ ما أعطانا، ولا نَحسَبَنَّ أن ما نُعطَاه هو أمر طبيعي أو حقٌّ لنا: كلّ شيء نعمة.الرّبّ يعطينا دائمًا، دائمًا، وكلّ شيء نعمة، كلّ شيء. نعمة الله. ومع ذلك، لا نخنق الابتهال الذي يرتفع فينا بشكل عفوي. صلاة الطلب تسير جنبًا إلى جنب مع قبول محدوديتنا بأنّنا خليقة. قد لا نؤمن بالله، ولكن من الصعب أن لا نؤمن بالصّلاة: فهي موجودة بكلّ بساطة، وهي صرخة فينا. وعلينا جميعًا أن نتعامل مع هذا الصوت الداخلي الذي قد يكون صامتًا لفترة طويلة، ثم يستيقظ يومًا ويصرخ.

أيّها الإخوة والأخوات نعلم أنّ الله يجيب. لا يوجد من يصلّي في سفر المزامير ويرفع شكواه ويبقى غير مسموع. الله يجيب دائمًا: اليوم أو غدًا، لكنه يجيب دائمًا بطريقة أو بأخرى. يجيب دائمًا. إنّ الكتاب المقدس يكرر مرارًا لا تحصى: الله يسمع صراخ الذين يدعونه. حتى طلباتنا المتلعثمة، تلك التي بقيت

في أعماق قلوبنا، والتي نخجل أن نعبّر عنها أيضًا، يسمعها الآب ويريد أن يهبنا الرّوح القدس، الذي يحرّك كلّ صلاة ويغيّر كلّ شيء. إنّها مسألة صبر، دائمًا، وتَحَمُّل الانتظار. نحن الآن في زمن المجيء، وهو زمن نموذجي لانتظار عيد الميلاد. نحن في انتظار. يمكن رؤية هذا جيدًا. لكن حياتنا كلّها في انتظار أيضًا. والصّلاة في انتظار دائمًا لأنّنا نعلم أنّ الرّبّ يجيب. حتى الموت يرتجف عندما يصلّي المسيحي، لأنّه يعلم أنّ كلّ من يصلّي له حليف أقوى منه: إنّه الرّبّ يسوع القائم من بين الأموات. لقد هُزِم الموت بالفعل في المسيح، وسيأتي اليوم الذي يصبح فيه كلّ شيء ثابتًا في الحياة، ولن يستخفَّ الموت بعد الآن بحياتنا وسعادتنا.

لنتعلم أن ننتظر الرّبّ يسوع. الرّبّ يسوع يأتي لزيارتنا، ليس فقط في هذه الأعياد الكبيرة – عيد الميلاد وعيد الفصح – ولكن يزورنا كلّ يوم في عمق قلوبنا إذا كنا في انتظاره. وفي كثير من الأحيان لا ندرك أنّ الرّبّ يسوع قريب، وأنّه يطرق بابنا وأنّنا نسمح له أن يمر. «أخشى من الله عندما يمر. أخشى أن يمر وألا أنتبه له»، كان يقول القديس أغسطينس. والرّبّ يسوع يمر ويأتي ويقرع. لكن إذا امتلأت أذنيك بأصوات أخرى، فلن تسمع دعوة الرّبّ يسوع.

أيّها الإخوة والأخوات، كونوا في انتظار: هذه هي الصّلاة!

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ١٦ ديسمبر/ كانون الأوّل ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

١٩. صلاة الشفاعة

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

من يصلّي لا يترك العالم وراءه. إن لم تشمل الصّلاة أفراح البشرية وأحزانها وآمالها ومخاوفها، فإنّها تصبح عمل «زخرفة»، وموقف سطحي يشبه المسرح، موقف داخلي. كلنا نحتاج إلى حياة داخليّة: أن نختلي في مكان وزمان نخصّصهما لعلاقتنا مع الله. لكن هذا لا يعني الهروب من الواقع. في الصّلاة، الله «يأخذنا ويباركنا، ومن ثّم يكسر لنا (الخبز) ويعطينا»، لسدّ جوع الجميع. كلّ مسيحي مدعو لأن يكون في يدَي الله خبزًا مكسورًا يشارك فيه الجميع. أي صلاة ملموسة، وهي ليست هروبًا.

لذلك يسعى الرجال والنساء في صلاتهم إلى العزلة والصمت، لا لكيلا ينزعجوا، بل لسماع صوت الله بشكل أفضل. ينسحبون أحيانًا من العالم في سر غرفتهم، كما أوصى يسوع (را. متى ٦، ٦)، ولكن أينما كانوا، يبقى باب القلب مفتوحًا على مصراعيه: الباب مفتوح للذين يصلّون ولا يعرفون أنهم يصلّون، وللذين لا يصلّون على الإطلاق ولكنّهم يحملون في داخلهم صرخة مخنوقة، ودعاءً خفيًّا، وللذين أخطأوا وضلوا الطريق... يمكن لأي إنسان أن يطرق باب المصلّي فيجد فيه أو فيها قلبًا رحيمًا يصلّي دون أن يستثني أحدًا. الصّلاة

هي قلبنا وصوتنا، وهي تصبح قلب وصوت كثير من الناس الذين لا يعرفون أن يصلّوا أو لا يصلّون، أو لا يريدون أن يصلّوا أو لا يقدرون أن يصلّوا: نحن قلب هؤلاء الناس وصوتهم الذي يرتفع إلى يسوع وإلى الآب كشفعاء. في عزلة من يصلّي – سواء العزلة لفترة طويلة أو العزلة لمدة نصف ساعة –، ننفصل عن كلّ شيء وعن الجميع لنجد من جديد كلّ شيء والجميع في الله. فالمصلّي يصلّي من أجل العالم كلّه ويحمل على كتفيه الآلام والخطايا. يصلّي من أجل الجميع ومن أجل كلّ واحد: وكأنّه «ساريّة هوائيّة» لله في هذا العالم. في كلّ فقير يقرع بابه، وفي كلّ إنسان فقد معنى الأشياء، الذي يصلّي يرى فيه وجه المسيح.

يقول التعليم المسيحي: «الشفاعة، أي الطلب لأجل الآخر [...]، هي مِيزَةُ القلب المنسجم مع رحمة الله» (رقم ٢٦٣٥).هذا جميل. عندما نصلّي نكون متناغمين مع رحمة الله. الرحمة تجاه خطايانا التي هي رحمة لنا، ولكن أيضًا رحمة لكلّ من طلبوا أن نصلّي من أجلهم، والذين من أجلهم نريد أن نصلّي في تناغم مع قلب الله. هذه هي الصّلاة الحقيقيّة. إنّها انسجامٌ مع رحمة الله، مع ذلك القلب الرحيم. «في زمن الكنيسة، الشفاعة المسيحيّة هي مشاركة في شفاعة المسيح: إنّها تعبّر عن شركة القديسين» (نفس المرجع).ما معنى أن نشارك في شفاعة المسيح عندما أتشفع من أجل أحد ما أو عندما أصلّي من أجل أحد ما؟ لأن المسيح شفيع أمام الآب، فهو يصلّي من أجلنا ويصلّي ليُظهر للآب جراحات يديه، ولأن يسوع جسديًا يقف بجسده أمام الآب. يسوع هو شفيعنا، وعندما نصلّي نشبه ما يقوم به يسوع: نتشفع في يسوع إلى الآب من أجل الآخرين. وهذا جميل جدًا.

في الصّلاة يهتم القلب للإنسان. يهتم ببساطة للإنسان. من لا يحب أخاه لا يصلّي بصورة جديّة. يمكن أن نقول: برّوح الكراهيّة لا نستطيع أن نصلّي، وبرّوح اللامبالاة لا نستطيع أن نصلّي. الصّلاة تُصلّى فقط برّوح المحبة. من لا يحب يتظاهر أنّه يصلّي، أو يعتقد أنّه يصلّي، لكنه لا يصلّي، لأنّه ينقصه بالتحديد

الرّوح التي هي المحبة. في الكنيسة، مَن يعرف حزن الآخر وفرحه، فإنّه يعرف أكثر مِن الذي يبحث عن «أعظم الأنظمة». لهذا السبب في كلّ صلاة يوجد مزيد من الخبرة بالإنسان، لأنّ الناس، مهما ارتكبوا من الأخطاء، لا يجوز أبدًا رفضهم أو إهمالهم.

عندما يصلّي المؤمن، بدافع من الرّوح القدس، من أجل الخطأة، فهو لا يختار، ولا يحكم على أحد: إنّه يصلّي من أجل الجميع. وهو يصلّي أيضًا لنفسه. في تلك اللحظة يعرف أنّه لا يختلف كثيرًا عن الأشخاص الذين يصلّي من أجلهم:يشعر أنه خاطئ بين الخطأة ويصلّي من أجل الجميع. العبرة في مثل الفريسي والعشار عبرة باقية دائمًا وواقعيّة. (را. لو ١٨، ٩-١٤): لسنا أفضل من أي أحد، فنحن جميعًا إخوة في مجتمع من الضعف والألم ونحن كلّنا فيه خطأة. لذلك فإنّ الصّلاة التي يمكن أن نوجهها إلى الله هي: «يا ربّ، لا يوجد حيٌّ بارٌّ أمامك (را مز ١٤٣، ٢) - هذا ما قاله المزمور: «يا ربّ، لا يوجد حيٌّ بارٌّ أمامك»، لا أحد منا: كلّنا خطأة -، كلّنا مدينون وعلينا حساب يجب أن نؤدّيه. وليس هناك من لا تشوبه شائبة في عينيك. يا ربّ ارحمنا!». وبهذا الرّوح تكون الصّلاة مثمرة، لأنّنا نتواضع أمام الله عندما نصلّي من أجل الجميع. لكن الفريسي صلّى بأسلوب متكبر: «شكرًا لك يا ربّ لأنّي لست مثل هؤلاء الخطأة، أنا صادق، وأعمل دائمًا...». هذه ليست صلاة: هذا هو النظر في المرآة، إلى الواقع بالضبط، النظر في مرآة زيّفها الكبرياء.

العالم باقٍ ويتقدم بفضل هذه السلسلة من المصلّين الذين يشفعون والذين هم في الغالب مجهولون... ولكن ليس أمام الله! هناك العديد من المسيحيّين المجهولين الذين عرفوا في وقت الاضطهاد أن يرددوا كلمات ربّنا يسوع المسيح: «يا أَبَتِ اغفِرْ لَهم، لِأَنَّهُم لا يَعلَمونَ ما يَفعَلون» (لو ٢٣، ٣٤).

يبقى الراعي الصالح أمينًا ولو رأى خطيئة شعبه:يستمر الراعي الصالح أن يكون أب، ويبقى كذلك، حتى عندما يبتعد أبناؤه ويتخلّون عنه. إنّه يثابر

في خدمة الراعي حتىٰ أمام من جعل يديه تتسخ، ولا يغلق قلبه أمام من لربما جعله يتألم.

رسالة الكنيسة، بجميع أعضائها، هي أن ترفع صلاة الشفاعة، وأن تتشفع للآخرين. وعلىٰ وجه الخصوص، عليه هذا الواجب كلّ من كان في موقع المسؤولية: الوالدون والمعلمون والخدام المرسومون ورؤساء الجماعات... مثل إبراهيم وموسىٰ، عليهم أحيانًا واجب «الدفاع» أمام الله عن الناس الموكولين إليهم. في الواقع، يجب عليهم أن ينظروا دائمًا بعين الله وبقلبه، وبحنانه ورأفته التي لا تقهر. أن يصلّوا بحنان من أجل الآخرين.

أيّها الإخوة والأخوات، نحن جميعًا ورق علىٰ الشجرة نفسها: كلّ ورقة تسقط تذكرنا بالرحمة الكبيرة التي يجب أن نتحلّىٰ بها في صلاة بعضِنا لبعض. لنصلِّ بعضنا لبعض: هذا سيُفيدنا وسيُفيد الجميع. شكرًا!

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ٣٠ ديسمبر/ كانون الأوّل ٢٠٢٠

مكتبة القصر البابوي

٢٠. صلاة الشكر

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

أود أن أكلمكم اليوم على صلاة الشكر. ألهمني ذلك حادثةٌ رواها الإنجيلي لوقا. بينما كان يسوع في طريقه، جاء إليه عشرة برص، متوسِّلين قائلين: «رُحْماكَ يا يسوع أَيُّها المُعَلِّم!» (١٧، ١٣). نحن نعلم أنّه بالنسبة لمرضى البرص، بالإضافة إلى أوجاع الجسد، كان يُفرَضُ عليهم التهميش الاجتماعي والديني. كانوا مهمشين. يسوع لا ينسحب، ولا يرفض لقاءهم. في بعض الأحيان يذهب يسوع إلى أبعدَ من الحدود التي تفرضها الشريعة، فيلمس المريض – وهو ما لا يمكن فعله –، أو يعانقه ويشفيه. لكن في هذه الحالة يسوع لم يلمسهم. بل قال لهم عن بُعد أن يقدموا أنفسهم للكهنة (را. الآية ١٤)، الذين كانوا مكلَّفِين بحسب الشريعة أن يُعطوا شهادةً تُثبِتُ الشفاء. لم يقل يسوع شيئًا آخر. أصغى إلى صلاتهم، وأصغى إلى صراخهم طالبين الرحمة، وأرسلهم في الحال إلى الكهنة.

وثق هؤلاء العشرة بيسوع، ولم يبقوا هناك حتى يحين وقت شفائهم، كلا: وثقوا وذهبوا في الحال، وأثناء ذهابهم شُفُوا، كلُّهم العشرة. لذلك كان بإمكان الكهنة أن يتحققوا من شفائهم وأن يعيدوهم إلى الحياة الطبيعية. وهنا تأتي

الملاحظة الأهم: من تلك المجموعة، عاد واحدٌ فقط، قبل الذهاب إلى الكهنة، ليشكر يسوع ويحمد الله على النعمة التي حصل عليها.واحدٌ فقط، وواصل التسعة الآخرون الطريق. ولاحظ يسوع أنّ ذلك الرجل كان سامريًا، وكان نوعًا من «الهرطوقي» بالنسبة لليهود في ذلك الوقت. فعلّق يسوع: «أما كانَ فيهِم مَن يَرجعُ ويُمَجِّدُ اللهَ سِوىٰ هذا الغَريب؟» (١٧، ١٨).القصة مؤثرة!

هذه الرواية تَقسِمُ العالم إلى قسمين، إنّ صح التعبير: من لا يشكر ومن يشكر، من يأخذ كلّ شيء كما لو كان واجبًا يُؤَدَّىٰ له، ومن يقبل كلّ شيء ويرىٰ فيه عطية ونعمة. يقول التعليم المسيحي: «يمكن أن يصير كلّ حدث وكلّ احتياج، سببًا للشكر» (رقم ٢٦٣٨). هنا تبدأ دائمًا صلاة الشكر: من الاعتراف بأنّ النعمة هي التي تَسبِقُ دائمًا. فكَّرَ الله فينا قبل أن نتعلم التفكير، وأحبّنا قبل أن نتعلّم الحب، وأرادنا قبل أن تظهر في قلوبنا إرادة أو رغبة. إذا نظرنا إلى الحياة بهذه الطريقة، أصبح «الشكر» هو الدافع الذي يوجِّه أيامنا.في كثير من الأحيان ننسىٰ أيضًا أن نقول «شكرًا».

لنا نحن المسيحيين، صار الشكر اسمًا للسر الأهم والأقدس في حياتنا، وهو: الإفخارستيا. وهذا ما تعنيه فعلًا هذه الكلمة اليونانية: الشكر. المسيحيون، مثلهم مثل كلّ المؤمنين، يباركون الله على نعمة الحياة. أن تعيش هو قبل كلّ شيء أنّك قبلت الحياة. كلّنا وُلِدْنا لأنّ أحدًا ما أراد أن يمنحنا الحياة. وهذا هو أوّل دَيْنٍ علينا في سلسلة طويلة من الديون التي نتحملها أثناء حياتنا. ديون الشكر. في حياتنا، نظر إلينا كثيرون نظرة نقيّة ومجانيّة. هؤلاء هم غالبًا المربُّون ومعلِّمو التعليم المسيحي، هم أشخاص قاموا بدورهم بما يتجاوز الحد الذي يطلُبُه الواجب. فحملونا على الشكر وعرفان الجميل. الصداقة هي أيضًا نعمة نكون شاكرين لها دائمًا.

كلمة «الشكر» هذهالتي يجب أن نقولها باستمرار، كلمة الشكر هذه التي يشارك فيها المسيحيون مع الجميع، في اللقاء مع يسوع تكبُرُ وتتسع. تشهد

الأناجيل على أنّ مرور يسوع غالبًا ما كان يثير الفرح والحمد لله في أولئك الذين قابلوه. كانت روايات الميلاد مليئة بالمصلّين وبقلوب كبيرة تستقبل مجيء المخلّص. ونحن أيضًا مدعوون أن نشارك في هذا الفرح الفائض. هذا ما يوحي به مشهد البُرص العشرة الذين تم شفاؤهم. وبطبيعة الحال، كانوا كلهم سعداء لاستعادة صحتهم، وبالتالي تمكنوا من الخروج من هذا الحجر الصحي الاجباري الذي لا نهاية له والذي أبعدهم عن الجماعة. لكن من بينهم، واحد أضاف إلى الفرح فرحًا: فبالإضافة إلى الشفاء، فَرِحَ لحدوث اللقاء مع يسوع. لم يتحرر فقط من الشر، بل أصبح الآن على يقين أنّه محبوب.هذا هو الجوهر: عندما تشكر، فإنّك تعبّر على يقين أنّك محبوب. وهذه خطوة كبيرة: أن تكون مؤكدًا أنك محبوب إنّه اكتشاف الحبِّ كقوَة تحكم العالم. سيقول دانتي: الحب «الذي يحرك الشمس وسائر النجوم» (Paradiso, XXXIII, 145). لم نعد مسافرين تائهين نتجول هنا وهناك: كلا، لدينا بيت، إنّنا نسكن في المسيح، ومن هذا «المسكن» نتأمل في سائر العالم، فيبدو لنا جميلًا، أجمل بكثير، بما لا حد له.نحن أبناء المحبة، نحن إخوة المحبة. نحن رجال ونساء النعمة.

لذلك، أيّها الإخوة والأخوات، لنحاول أن نبقى دائمًا في فرح اللقاء مع يسوع. ولْنُنَمِّ الفرح. أما الشيطان فإنّه بعد أن يخدعنا –، بأي تجربة –، يتركنا دائمًا حزينين ووحيدين. إذا كنا في المسيح، فلا خطيئة ولا تهديد يمكن أن يمنعنا أبدًا من أن نواصل مسيرتنا بفرح مع رفقائنا الكثيرين في الطريق.

لا نَنْسَ أن نشكر: إذا كنا حاملين للشكر وعرفان الجميل، فإنّ العالم يصبح أيضًا أفضل، ولو قليلاً، ويكفي هذا القليل لنحمل إليه بعض الرجاء.يحتاج العالم إلى الرجاء وعرفان الجميل، مع هذا الموقف المتمثل في قول الشكر، فإنّنا نحمل القليل من الرجاء. فيصبح كلّ شيء موحَّدًا ومتماسكًا، ويمكن لكلّ واحد أن يقوم بدوره حيث وجد. إنّ طريق السعادة هو ما وصفه القديس بولس في نهاية إحدى رسائله: «لا تَكُفُّوا عن الصَّلاة، أُشكُروا على كُلِّ حال،

فتِلكَ مَشيئَةُ الله لَكم في المسيحِ يسوع. لا تُخمِدوا الرُّوح» (١ تس ٥، ١٧-١٩). لا تُخمِدوا الرُّوحَ، إنّه برنامج حياة جميل! إنّ عدم اخماد الرُّوح في داخلنا يقودنا إلى العرفان بالجميل.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ١٣ يناير/ كانون الثاني ٢٠٢١

مكتبة القصر البابوي

٢١. صلاة التسبيح (الحمد)

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

نواصل التعليم المسيحي في الصّلاة، واليوم سنتكلم على صلاة التسبيح.

تلهمنا اليوم لحظة صعبة في حياة يسوع. بعد المعجزات الأولى واشتراك التلاميذ في إعلان ملكوت الله، مرّت رسالة المسيح بأزمة. شك فيه يوحنا المعمدان، وأوصله هذه الرسالة وهو في السجن: «أَأَنتَ الآتي، أَم آخَرَ نَنتَظِر؟» (متى ١١، ٣). شعر بالقلق من عدم معرفة ما إذا كان قد أخطأ في التبشير. هناك دائمًا لحظات مظلمة في الحياة، لحظات من الظلمة الروحيّة، وكان يوحنا يمر بهذه اللحظة. وكان هناك عداء له في القرى الواقعة على البحيرة، حيث أتم يسوع العديد من الآيات المذهلة (را. متى ١١، ٢٠-٢٤). والآن، في لحظة الإحباط هذه بالتحديد، أورد متى حادثة مدهشة حقًا: لم يرفع يسوع إلى الآب شكوى، بل نشيد فرح: «أَحمَدُكَ يا أَبَتِ، رَبَّ السَّمَواتِ والأَرض، على أَنَّكَ أَخفَيتَ هذه الأَشياءَ على الحُكَماءِ والأَذكِياء، وكَشفتَها لِلصِّغار» (متى ١١، ٢٥). أي في وسط الشدّة، في الظلام الكامل في نفوس الكثير من الناس، مثل يوحنا المعمدان، بارك يسوع الآب، وسبَّح يسوع الآب. ولكن لماذا؟

سبَّحه أوّلًا لما هو عليه: «يا أَبَتِ، رَبَّ السَّمَواتِ والأَرض». تهلل يسوع

بالروح لأنّه عرف وشعر أنّ أباه هو إله الكون، ومن جهة أخرىٰ، فإنّ ربّ كلّ ما هو موجود هو الآب، قال «أبتِ». من هذه الخبرة، إذ شعر بنفسه أنّه «ابن العلي»، تدفق التسبيح. شعر يسوع أنّه ابن العلي.

ثم سبَّح يسوع الآب لأنّه فضّل الصغار. هذا ما اختبره هو نفسه، في أثناء تبشيره في القرىٰ: «الأَذكِياء» و «الحُكَماء» يظلون مرتابين ومنغلقين، ويجرون الحسابات، بينما «الصّغار» ينفتحون ويستقبلون الرسالة. هذه كانت إرادة الآب، وفَرِح يسوع بها. نحن أيضًا يجب أن نفرح ونسبّح الله لأنّ المتواضعين والبسطاء يستقبلون الإنجيل. أنا أفرح عندما أرىٰ هؤلاء الناس البسطاء، هؤلاء الناس المتواضعين الذين يذهبون في رحلة حج، ويذهبون للصّلاة، ويرتلون، ويسبّحون، ربما يفتقرون إلىٰ أشياء كثيرة ولكن التواضع يحملهم أن يسبّحوا الله. في مستقبل العالم وفي رجاء الكنيسة يوجد دائمًا «الصّغار»: الذين لا يعتبرون أنفسهم أفضل من غيرهم، والذين يدركون حدودهم وخطاياهم، والذين لا يريدون أن يسيطروا علىٰ الآخرين، والذين يعتبرون أنفسهم كلّهم إخوّة، في الله الآب.

لذلك، في لحظة فشل في الظاهر،حيث كلّ شيء كان مظلمًا، صلّىٰ يسوع وسبّح الآب. وتدفعنا صلاته نحن أيضًا، قراء الإنجيل، إلىٰ أن نحكم علىٰ هزائمنا الشخصيّة بطريقة مختلفة، علىٰ المواقف التي لا نرىٰ فيها بوضوح حضور الله وعمله، عندما يبدو لنا أنّ الشر يسود ولا توجد طريقة لإيقافه. يسوع، الذي أوصىٰ كثيرًا بصلاة الطلب أيضًا، في لحظة الشدّة هذه لم يطلب تفسيرات من الآب، بل بدلاً من ذلك، بدأ بتسبيحه وبحمده.يبدو وكأنّه تناقض، لكن هناك تكمن الحقيقة.

التسبيح يفيد من؟ نحن أم لله؟ يدعونا نص من ليتورجيا الإفخارستيّة إلىٰ أن نصلّي إلىٰ الله بهذه الطريقة، يقول هكذا: «وإن لم يزد تسبيحنا شيئاً إلىٰ مجدك العظيم، غير أنّه يعود بالنعمة والخلاص علينا» (القداس الروماني، المقدمة

العامة الرابعة). عندما نسبّح نَخلُص.

صلاة التسبيح تفيدنا نحن. يعرّفها التعليم المسيحي على النحو التالي: «إنّها مشاركة في سعادة القلوب النقيّة، التي تحب الله في الإيمان قبل أن تعاينه في المجد» (عدد ٢٦٣٩). وبصورة متناقضة، يجب أن تمارس ليس فقط عندما تملأنا الحياة بالسعادة، ولكن قبل كلّ شيء في اللحظات الصّعبة، في اللحظات المظلمة عندما تبدأ الطريق بالتصعيد. هذا أيضًا وقت التسبيح، كما يسوع سبّح الآب في اللحظة المظلمة. لأنّنا نعلم أنّنا بهذا الصعود، في هذا الدرب الصّعب، في هذا الدرب المتعب، سنتمكن من رؤية مشهد جديد، وأفق أكثر انفتاحًا. التسبيح مثل تنفس الأكسجين النقيّ: فهو ينقيّ روحك، ويجعلك تنظر بعيدًا، ولا يتركك مأسورًا في لحظة الضّيقات الصّعبة والمظلمة.

نجد تعليمًا كبيرًا في تلك الصّلاة التي لم تتوقف عن النبض منذ ثمانية قرون، والتي ألّفها القديس فرنسيس في نهاية حياته وهي: «نشيد أختنا الشمس» أو «نشيد المخلوقات». لم يؤلّفها القديس «الفقير» في لحظة فرح وراحة، بل عكس ذلك في وسط المشقات. أصبح فرنسيس شبه أعمى، وشعر في روحه بثقل الوَحدة التي لم يختبرها من قبل: لم يتغير العالم منذ أن بدأ يبشر، فما زال هناك من ترك نفسه تمزقه المشاجرات. وبالإضافة إلى ذلك، شعر بخطوات الموت تقترب منه. كان يمكن أن تكون تلك لحظة خيبة الأمل، لحظة خيبة الأمل الكبرى والشعور بفشله هو. لكن صلّى فرنسيس في تلك اللحظة المحزنة، في تلك اللحظة المظلمة. وكيف صلّى: « كُنْ مُسَبَّحًا، يا ربّ...». صلَّى وسبَّح. سبَّح فرنسيس الله لكلّ شيء، ولكلّ عطايا الخليقة، وأيضًا للموت، الذي دعاه بشجاعة « أخي»، «أخي الموت».هذه الأمثلة عن القدّيسين والمسيحيّين وحتى عن يسوع، في تسبّيح الله في اللحظات الصّعبة، تفتح لنا أبواب طريق كبير جدًا نحو الرّبّ وتطهرّنا دائمًا. التسبيح ينقي دائمًا.

يُظهر لنا القدّيسون والقدّيسات أنّه يمكن أن نسبّح الله دائمًا، في أوقات

اليُسر والعُسر، لأنّ الله هو الصديق الأمين. هذا هو أساس التسبيح: الله هو الصّديق الأمين، ومحبته لا تغيب أبدًا.هو دائمًا بجانبنا، وينتظرنا دائمًا. قال أحدهم: «إنّه الحارس القريب منك والذي يجعلك تتقدم بثقة». في اللحظات الصّعبة والمظلمة نجد الشجاعة لنقول: «مباركٌ أنت يا ربّ». أن نسبّح الرّبّ. هذا سيفيدنا كثيرًا.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ٢٠ يناير/ كانون الثاني ٢٠٢١

مكتبة القصر البابوي

صلاة من أجل وَحدة المسيحيّين

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

سأتكلم في هذا التعليم المسيّحي عن الصّلاة من أجل وَحدة المسيحيّين. في الواقع، يُخَصَصُ الأسبوع الذي يمتد من ١٨ إلى ٢٥ يناير/ كانون الثاني لنطلب من الله نعمة الوَحدة للتغلب على معثرة الانقسامات بين المؤمنين بيسوع. بعد العشاء الأخير، صلّى يسوع من أجل خاصته «لِيكونوا بِأَجمَعِهِم واحِداً» (يو ١٧، ٢١). إنّها صلاته قبل الآلام، ويمكننا أن نقول إنّها وصيته الروحيّة. لكننا نلاحظ أنّ الرّبّ يسوع لم يأمر التلاميذ بالوَحدة. بل ولم يقدم لهم خطابًا في هذا ليبيِّن ضرورتها. كلا، لقد صلّى إلى الآب من أجلنا لنكون واحدًا. هذا يعني أنّنا، بقوتنا، لا نكفي لتحقيق الوَحدة. الوَحدة هي أولا هبة من الله. إنّها نعمة يجب أن نطلبها بالصّلاة.

كلّ واحد منا يحتاج إليها. في الواقع، نحن ندرك أنّنا لسنا قادرين أن نحافظ على الوَحدة حتى في أنفسنا. شعر الرسول بولس أيضًا بصراع يمزقه في داخله: كان يريد الخير وهو يميل إلى الشر (را. روم ٧، ١٩). وهكذا أدرك أنّ أصل الانقسامات الكثيرة المحيطة بنا – بين الناس، وفي العائلات، وفي المجتمع، وبين الشعوب وحتى بين المؤمنين – هو في داخلنا. ويؤكد المجمع الفاتيكاني

الثاني أنّ «اللّاتوازن الذي يُشغِل عالم اليوم هو في الحقيقة مرتبطٌ بلا توازنٍ أعمق، جذوره في قلب الإنسان. ففي الإنسان نفسه عناصر مختلفة تتصارع. [...] وهكذا ففي ذاته شقاقٌ، ومن هذا الشقاق الذاتي ينشأ في المجتمع هذا القدر من الخصومات الشديدة» (الكنيسة في عالم اليوم، ١٠). لذلك فإنّ الحل للانقسامات لا يقوم بمعارضة أحد، لأنّ المخاصمة تولد المخاصمة. العلاج الحقيقي يبدأ بأن نطلب إلى الله أن يمنحنا السلام والمصالحة والوَحدة.

هذا ينطبق أولاً وقبل كلّ شيء على المسيحيّين: يمكن للوحدة أن تتحقق فقط كثمرة للصّلاة. الجهود الدبلوماسيّة والحوارات الأكاديميّة ليست كافية. عَرِفَ يسوع هذا وفتح الطريق لنا، فصلّى. وبالتالي، فإنّ صلاتنا من أجل الوَحدة هي مشاركة متواضعة ولكن واثقة في صلاة الرّبّ يسوع، الذي وعد بأنّ الآب يصغي إلى كلّ صلاة نرفعها باسمه. (را. يو ١٥، ٧). في هذه المرحلة يمكننا أن نسأل أنفسنا: «هل أصلّي من أجل الوَحدة؟». إنّها إرادة يسوع، ولكن إذا راجعنا النوايّا التي نصلّي من أجلها، أدركنا على الأرجح أنّنا صلّينا قليلاً، وربما لم نصلِّ قط، من أجل وَحدة المسيحيّين. مع أن إيمانالعالم يعتمد عليها. في الواقع، طلب الرّبّ يسوع الوحدة بيننا «لِيُؤمِنَ العالَمُ» (يو ١٧، ٢١). لن يؤمن العالم لأنّنا سنقنعه بحجج قوية، بل إذا شهدنا للمحبة التي توحدنا وتقربنا من الجميع.

في هذا الوقت العصيب، الصّلاة أكثر ضرورة حتى تتغلب الوَحدة على النزاعات. من الملحّ أن ننحي جانباً الخصوصيّات لتعزيز الخير العام، ولهذا السبب فإنّ مثالنا الصالح أساسي: من الضّروري أن يواصل المسيحيون الطريق نحو الوَحدة الكاملة والمرئية. في العقود الأخيرة، وبفضل الله، أنجزت خطوات كثيرة إلى الأمام، لكن من الضّروري أن نثابر في المحبة والصّلاة، دون تشكيك، ودون تعب. إنّها مسيرة بدأها الرّوح القدّس في الكنيسة وفي المسيحيّين وفينا جميعًا، ولن نعود عنها أبدًا إلى الوراء. دائمًا إلى الأمام!

الصّلاة تعني أن نكافح من أجل الوَحدة. نعم أن نكافح، لأنّ عدونا، الشيطان، كما تقول الكلمة نفسها، هو زارع الانقسامات. يطلب يسوع الوَحدة في الرّوح القدس، لخلق الوَحدة. الشيطان يُقسِّم دائمًا، لأنّه من الملائم له أن يُقسِّم. إنّه يلهم الانقسام في كلّ مكان وبكلّ الطرق، بينما يوجهنا الرّوح القدس إلى الوَحدة. لا يجربنا الشيطان، عادة، في قضايا لاهوتية معقدة، ولكن في نقاط الضعف بين الإخوة. إنّه ماكر: يضخم أخطاء الآخرين وعيوبهم، ويزرع الفتنة، ويثير النقد، ويَخلِق التحزبات. طريق الله مختلفة: يعاملنا الله كما نحن، ويحبنا كثيرًا، لكنه يحبنا كما نحن ويعاملنا كما نحن، ويقبلنا باختلافنا، ويقبلنا كخطأة، ويدفعنا دائمًا إلى الوَحدة. يمكننا أن نتحقق من أنفسنا وأن نسأل أنفسنا في الأماكن التي نعيش فيها، هل نغذي الصّراع أم نكافح لنمو الوَحدة بالوسائل التي أعطانا إياها الله وهي: الصّلاة والمحبّة. بدلاً من ذلك، يتم تأجيج الصّراع بالثرثرة والتحدث دائمًا عن الآخرين. الثرثرة هي السّلاح الأكثر فائدة الذي يستخدمه الشّيطان لتقسيم الجماعة المسيحيّة، ولتقسيم العائلة، ولتقسيم الأصدقاء، وللتقسيم دائمًا. الرّوح القدّس يوحي فينا دائمًا الوَحدة.

موضوع أسبوع الصّلاة هذا هو، على وجه التحديد، المحبّة: «أثبتوا في محبتي: فتثمروا ثمرًا كثيرًا» (را. يو ١٥، ٥-٩). إنّ أصل الشركة هو محبة المسيح، التي تجعلنا نتغلب على الأحكام المسبقة لنرى في الآخر أخًا وأختًا نحبهم دائمًا. فنكتشف أنّ مسيحيي المعتقدات الأخرى، بتقاليدهم وتاريخهم، هم هبة من الله، هم هبة موجودون في مناطقنا وبين جماعاتنا الأبرشيّة والرعويّة. لنبدأ بالصّلاة من أجلهم ومعهم متى أمكن ذلك. هكذا سنتعلم أن نحبهم ونقدرهم. يُذّكِر المجمع الفاتيكاني الثاني أنّ الصّلاة هي روح كلّ حركة مسكونية (را. استعادة الوَحدة، ٨). لذلك، لتكن الصّلاة نقطة الانطلاق لمساعدة يسوع على تحقيق حلمه حتى: يكونوا بِأَجمَعِهم واحِداً.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ٢٧ يناير/ كانون الثاني ٢٠٢١

مكتبة القصر البابوي

٢٢. الصّلاة مع الكتاب المقدس

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

أوّد اليوم أن أتكلم عن الصّلاة التي يمكننا أن نصلّيها مع قراءة مقطع من الكتاب المقدس. لم تُكتب كلمات الكتاب المقدس لتظل سجينة ورق البردي أو مخطوطة على ورق الرق، أو الورق العادي، بل ليستقبلها شخص يصلّي، ويجعلها تنمو في قلبه.كلمة الله تأتي إلى القلب. يقول التعليم المسيحي: «يجب أن تُقرَنَ الصّلاة بقراءة الكتاب المقدس – لا يمكن قراءة الكتاب المقدس مثل رواية –، لينشأ حوارٌ بين الله والانسان» (رقم ٢٦٥٣). تلك الآية أو تلك، من الكتاب المقدس، كُتبت أيضًا لي، منذ قرون وقرون، حتى تصل إليّ كلمة من الله.كُتبت لكلّ واحد منا. قد تحدث هذه الخبرة مع جميع المؤمنين: فقرة من الكتّاب المقدس، سُمعت بالفعل عدة مرات، وفجأة في يوم ما أصبح لها معنى خاص بالنسبة لي، وألقت ضوءًا على حالة أعيشها. لكن، يجب أن أكون هناك في ذلك اليوم، على موعد مع تلك الكلمة، أن أكون هناك، لأصغي إلى الكلمة. الله يمر كلّ يوم ويلقي بذرة في تربة حياتنا. نحن لا نعرف هل يجد اليوم تربة قاحلة، أو شوكًا، أو تربة جيدة تجعل تلك النبتة تنمو (را. مر ٤، ٣-٩). الأمر يعتمد علينا، وعلى صلاتنا، وعلى القلب المفتوح الذي نقترب به من الكتاب

المقدس حتى يصبح لنا كلمة الله الحيّة. يمر الله باستمرار من خلال الكتاب المقدس. وسأعيد ما قلته الأسبوع الماضي، والذي قاله القديس أغسطينُس: «أخاف الرّبّ عندما يمر». لماذا الخوف؟ لأنّه قد لا أصغي له، ولا أدرك أنّه هو الرّبّ.

بالصّلاة يحدث شبه تجسد جديد للكلمة. وكل واحد منا «بيت للقربان» حيث يريد كلام الله أن يحل ضيفًا ويستقر، حتى يتمكن أن يزور العالم. لهذا نحتاج أن نقترب من الكتاب المقدس بدون أهداف خاصة بنا، ودون تسخيره لأغراضنا. لا يبحث المؤمن في الكتاب المقدس عن دعم لرؤيته الفلسفيّة أو الأخلاقيّة، بل ينتظر لقاء. فهو يعرف أنّ الكتاب المقدس كُتِبَ بالرّوح القدس، ولذلك يجب قبوله وفهمه بنفس الرّوح، حتى يتحقق اللقاء.

يزعجني ذلك قليلاً عندما أسمع المسيحيّين يتلون آيات الكتاب المقدس مثل الببغاوات. «نعم، يقول الرّبّ...، يريد هكذا...». لكن هل التقيت الرّبّ بهذه الآية؟ إنّها ليست مشكلة ذاكرة فقط: إنّها مشكلة ذاكرة القلب، تلك التي تفتح قلبك للقاء مع الرّبّ. وهذه الكلمة، وتلك الآية، تقود إلى لقاء مع الرّبّ.

نقرأ الكتّاب المقدس لأنّه «يتكلم لنا». وهذه نعمة أن تكون قادرًا أن تتعرف على نفسك في هذه الشخصيّة أو تلك، في هذا الموقف أو ذاك. لم يُكتب الكتّاب المقدس من أجل إنسانيّة عامة، بل من أجلنا نحن، ومن أجلي، ومن أجلك، ومن أجل رجال ونساء من لحم ودم، رجال ونساء يحملون أسماءً وألقابًا مثلي ومثلك. وكلمة الله الممتلئة بالرّوح القدس، عندما تُستقبَل بقلب مفتوح، لا تترك الأشياء كما كانت من قبل، أبدًا. تغيّر شيئًا ما. وهذه هي نعمة وقوة كلمة الله.

التقليد المسيحي غني بالخبرات والتأملات في الصّلاة مع الكتاب المقدس. لقد نشأت، طريقة «القراءة الربانيّة» أي التأمل في كلمة الله، في بيئة الأديار الرهبانيّة، ولكن يمارسها الآن أيضًا المسيحيّون الذين يترددون على الرعايا.

قبل كلّ شيء، إنّها قراءة مقطع من الكتّاب المقدس بانتباه، وأكثر من ذلك، أريد أن أقول «برّوح طاعة» للنص، لفهم ما يعنيه في حد ذاته. بعد ذلك، ندخل في حوارٍ مع الكتاب المقدس، بحيث تصبح هذه الكلمات سببًا للتأمل والصّلاة: نبقى دائمًا أمناء للنص، ثم أبدأ فأسأل نفسي: ماذا «يقول لي»؟ إنّها مرحلة دقيقة: يجب ألّا ننزلق إلى تفسيرات ذاتيّة بل ندخل في خط التقليد الحيّ، الذي يوحِّد كلّ واحدٍ منا في الكتاب المقدس. والخطوة الأخيرة في التأمل في كلمة الله هي صلاة المشاهدة. هنا تفسح الكلمات والأفكار المجال للحبّ، كما هو الحال بين المحبين الذين يكفي أن ينظروا أحيانًا بعضهم إلى بعض في صمت. نص الكتاب المقدس يبقى، ولكن مثل المرآة، ومثل أيقونة نشاهدها ونتأمل فيها.وهكذا يوجد حوار.

بالصّلاة، كلمة الله تقيم فينا ونقيم فيها. تلهم الكلمة النوايّا الحسنة وتدعم العمل، فتمنحنا القوّة والاطمئنان، حتى إذا وضعتنا في أزمة فإنّها تمنحنا السلام. في الأيام المعوجة والمضطربة، تضمن للقلب نواة ثقة ومحبة تحميه من هجوم الشرّير.

هكذا تتجسد كلمة الله– أسمح لنفسي أن أستخدم هذا التعبير: تتجسد – في من يستقبلها في الصّلاة. يظهر حَدسٌ في بعض النصوص القديمة يقول لنا إنّ المسيحيّين كانوا يتماهَوْن مع الكلمة لدرجة أنّه حتى لو أحرقت كلّ أسفار الكتاب المقدس في العالم، فكان لا يزال من الممكن وجود «نسخة عنه» من خلال الأثر الذي تركه في حياة القديسين. هذا تعبير جميل.

الحياة المسيحيّة هي، في الوقت نفسه، عمل طاعة وإبداع. يجب أن يكون المسيحي الصالح مطيعًا، لكن يجب أن يكون أيضًا مبدعًا. مطيعًا لأنّه يصغي الى كلمة الله. ومبدعًا لأنّه لديه الروح القدس في داخله والذي يدفعه لتطبيق كلمة الله ونشرها. قال يسوع ذلك في نهاية إحدى خطاباته التي ألقاها بأمثال، بهذه المقارنة: «كُلُّ كاتِبٍ تَتَلمَذَ لِمَلكوتِ السَّمَوات يُشبِهُ رَبَّ بَيتٍ يُخرِجُ مِن

كَنزِه- القلب- كُلَّ جَديدٍ وقَديم» (متى ١٣، ٥٢). الكتاب المقدس هو كنزٌ لا ينضب. ليهبنا الرّبّ يسوع جميعًا أن نستقي دائمًا منه ونزداد، وذلك بالصّلاة. شكرًا.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ٣ فبراير/ شباط ٢٠٢١

مكتبة القصر البابوي

٢٣. الصّلاة في الليتورجيا

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

شهد تاريخ الكنيسة عدة مرات محاولة لممارسة عبادات مسيحيّة خاصة، تنكر ضرورة الطقوس الليتورجيّة العامة وأهميتها الروحيّة. وقد ادعت هذه النزعة طهارة أكبر من عبادات تعتمد على الاحتفالات الخارجيّة، تُعتبَر عبئًا عديم الفائدة أو ضارًا. وتَركَّز الانتقاد عادة ليس على شكل طقسي معين، أو على طريقة معينة للاحتفال، بل على الليتورجيا نفسها، على الشكل الليتورجي للصلاة.

في الواقع، يمكن أن نجد في الكنيسة أشكالًا معينة من الروحانيّة التي لم تكن قادرة على استيعاب الوقت المُعطى لليتورجيا بشكل ملائم. وهناك العديد من المؤمنين الذين، وإن أتوا يشاركون في الطقوس، ولا سيما في قداس الأحد، إلا أنهم يجدون غذاء لإيمانهم وحياتهم الروحيّة في مصادر أخرى، ذات طابع تعبدي.

في العقود الأخيرة، تم تقدم كبير في هذا المجال. الدستور في الليتورجيا المقدّسة، من وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني، يشكل مفصلًا في هذه المسيرة الطويلة. إنّه يعيد التأكيد بشكل كامل وحيٍّ على أهمية الليتورجيّا الإلهيّة في حياة المسيحيّين، الذين يجدون فيها الوساطة الموضوعيّة وحقيقة أنّ يسوع المسيح

ليس فكرة أو شعورًا، بل هو شخص حيّ وسره هو حدث تاريخي. هناك وساطات كثيرة ملموسة في صلاة المسيحيّين مثل: الكتاب المقدس والأسرار المقدسة والطقوس الليتورجيّة والجماعة. في الحياة المسيحيّة لا نتجاهل عالم الجسد والمادة، لأنّ الجسد في يسوع المسيح أصبح طريق الخلاص.يمكننا أن نقول أنّه يجب علينا أيضًا أن نصلّي بالجسد: هو جزء من الصّلاة.

لذلك، لا توجد روحانيّة مسيحيّة غير متأصلة في الاحتفال بالأسرار المقدسة. يقول التعليم المسيحيّ: «إنّ رسالة المسيح والرّوح القدس، التي تبشر بسرّ الخلاص وتجعله حاضرًا وتبلّغه إلى المؤمنين، في الليتورجيا الأسراريّة في الكنيسة، تستمر في قلب من يصلّي» (رقم ٢٦٥٥). الليتورجيا، في حد ذاتها، ليست فقط صلاة عفويّة، بل هي أكثر من ذلك، وأكثر ابتكارًا من ذلك: إنّها عمل يؤسِس الخبرة المسيحيّة بأكملها، وبالتالي الصّلاة أيضًا. إنّها حدث، إنّها أمر يتم، إنّها حضور ولقاء. إنّها لقاء مع المسيح. المسيح يجعل نفسه حاضرًا في الرّوح القدس من خلال علامات الأسرار المقدّسة: ومن هنا، تنجم لنا نحن المسيحيّين ضرورة المشاركة في الأسرار الإلهيّة. المسيحيّة بدون الليتورجيا، أود أن أجرؤ على القول إنّها ربما مسيحيّة بدون المسيح.بدون المسيح الكلّي. حتى في أكثر الطقوس بساطة، مثل تلك التي يحتفل بها بعض المسيحيّين وما زالوا يحتفلون بها في السجون، أو في المخابئ في أوقات الاضطهاد، يجعل المسيح نفسه حاضرًا حقًا ويعطي نفسه لمؤمنيه.

تطلب الليتورجيا، بسبب هذا البُعد الموضوعي فيها، تحديدًا، أن يُحتفل بها بحرارة، حتى لا تتبدد النعمة المفاضة في الطقس، بل تصل إلى حياة كلّ فرد. يشرح التعليم المسيحيّ جيدًا ويقول هكذا: «الصّلاة تحوِّل الليتورجيّا إلى حالة في النفس داخلية، وتستوعبها، في أثناء الاحتفال وبعده» (را. المرجع نفسه). صلوات مسيحيّة كثيرة لا تأتي من الليتورجيّا، ولكن جميعها، إن كانت مسيحيّة، تفترض مسبقًا الليتورجيّا، أي وساطة يسوع المسيح في الأسرار المقدسة. في كلّ مرة نحتفل بالمعموديّة، أو نكرّس الخبز والخمر في الإفخارستيّا، أو نمسح

جسد المريض بالزيت المقدس، يكون المسيح حاضرًا! إنّه هو الذي يعمل ويكون حاضرًا كما عندما شفى الأعضاء المعتلة لمريض، أو لما أعطى وصيته الأخيرة لخلاص العالم في العشاء الأخير.

صلاة المسيحي تجعل حضور يسوع السرّي حضورًا فيه. وما هو خارجي عنا يصبح جزءًا منا: تعبِّر الليتورجيا عن ذلك بعلامة بسيطة طبيعيّة مثل الأكل. لا يمكن «الاستماع» إلى القداس فقط: إنّه أيضًا تعبير غير صحيح، «أنا أذهب لاستمع إلى القداس». لا يمكن «الاستماع» إلى القداس فقط، وكأنّنا مجرد متفرجين على شيء يتم أمامنا ويبتعد، ونحن غير مشتركين فيه. يتم الاحتفال بالقداس دائمًا، ليس فقط من قبل الكاهن المترئس، بل من قبل جميع المسيحيّين الذين يحولونه إلى جزء من حياتهم. والمركز هو المسيح! وجميعنا، بتنوع المواهب والخدمات، نتحد جميعًا في عمله، لأنّه هو، المسيح، الحيّ في الليتورجيّا.

عندما بدأ المسيحيّون الأوائل يقومون بعبادتهم، فعلوا ذلك من خلال مراجعة أعمال وكلمات يسوع، بنور وقوّة الرّوح القدس، حتى تصبح حياتهم، التي وصلت إليها تلك النعمة، ذبيحة روحيّة تُقدَّم لله. كان هذا النهج «ثورة» حقيقيّة. كتب القديس بولس في رسالته إلى أهل رومة: «إِنِّي أُناشِدُكم إِذًا، أَيُّها الإِخوَة، بِحَنانِ اللهّ أَن تُقَرِّبوا أَشْخاصَكم ذَبيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسةً مَرْضِيَّةً عِندَ الله. فهذِه هي عِبادَتُكمُ الرّوحِيَّة» (١٢، ١). الحياة مَدعُوَّةٌ أن تصبح عبادة لله، لكن هذا لا يمكن أن يتمّ بدون الصّلاة، وخاصة الصّلاة الليتورجيّة. هذا الفكر يساعدنا جميعًا عندما نذهب إلى القداس: أذهب لأصلّي في جماعة، وأذهب لأصلّي مع المسيح الذي يكون حاضرًا. عندما نذهب إلى احتفال المعموديّة، على سبيل المثال، فإنّ المسيح هناك، وحاضر، وهو الذي يعمد. «لكن يا أبتِ، هذه فكرة، وطريقة للقول»: كلا، إنّها ليست طريقة للقول. المسيح حاضرٌ وفي الليتورجيّا أنت تصلّي مع المسيح الذي يكون بجانبك.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ١٠ فبراير/ شباط ٢٠٢١

مكتبة القصر البابوي

٢٤. الصّلاة في الحياة اليوميّة

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

رأينا في التعليم السابق عن الصّلاة أنّ الصّلاة المسيحيّة متأصلة في الليتورجيّا. سنبيّن اليوم كيف تعود دائمًا الصّلاة من الليتورجيا إلى الحياة اليوميّة: في الشارع، وفي المكتب، وفي وسائل النقل... وهناك يستمر الحوار مع الله: من يصلّي هو مثل العاشق، الذي يحمل دائمًا الشخص المحبوب في قلبه، أينما كان.

في الواقع، كلّ شيء يدخل في هذا الحوار مع الله: كلّ فرح يصبح سببًا للتسبيح، وكلُّ شدة فرصةً لطلب العون من الله. الصّلاة دائمًا حيّة في الحياة، مثلُ جمر النار، حتى عندما لا يتكلم الفم، ولكن القلب يتكلم. كلّ فكرة، حتى لو كانت في الظاهر أمرًا عاديًّا ولا صلة لها بالله، يمكن أن تكون موضوع صلاة. حتى في العقل البشري يوجد وجه للصّلاة. فهو في الحقيقة نافذة تشرف على السر: إنّها تنير الخطوات القليلة التي نخطوها ثم تنفتح على الواقع كلّه، هذا الواقع الذي يسبق العقل ويتجاوزه. هذا السر ليس له وجه مزعج أو مثير للقلق، كلا: لأن معرفة المسيح تجعلنا واثقين أنّه حيث لا تستطيع أعيننا وأعين عقولنا أن ترى، لا يوجد العدم، بلهناك من ينتظرنا، توجد نعمة لا حد لها.

تسكب الصّلاة المسيحية في قلب الإنسان رجاءً لا يُقهر: مهما كانت الخبرة التي نلقاها في مسيرتنا، يمكن لمحبة الله أن تحوِّلها إلى خير.

في هذا الصدد، يقول التعليم المسيحيّ: «نتعلم الصّلاة أحيانًا بالاستماع لكلمة الرّبّ، وبالاشتراك في سرّه الفصحيّ. ولكنّه يمنحنا أيضًا روحه الذي يجعل الصّلاة تتدفق فينا، في كلّ وقت، وفي أحداث كلّ يوم. [...] الوقت بين يدّي الآب. ونحن نلتقيه في الحاضر، لا في الأمس ولا في الغد، بل اليوم» (را. رقم ٢٦٥٩). اليوم ألتقي بالله، هناك دائمًا يوم اللقاء.

لا يوجد يوم رائع غير اليوم الذي نعيشه. الناس الذين يعيشون وهم يفكرون دائمًا في المستقبل: «لكن المستقبل سيكون أفضل...»، ولكنهم لا يقبلون اليوم كما هو: إنّهم أناس يعيشون في الخيال، ولا يدركون الواقع الملموس. واليوم هو واقعي وملموس. والصّلاة تتم في اليوم. يأتي يسوع للقائنا اليوم، وهذا اليوم الذي نعيشه. والصّلاة تحوِّل هذا اليوم إلى نعمة، أو بالأحرى، تحوِّلنا: إنّها تهدئ الغضب، وتسند المحبة، وتضاعف الفرح، وتُفيض فينا قوّة المغفرة. سيبدو لنا في بعض اللحظات أنّنا لم نعد نحيا، نحن، بل النعمة هي التي تحيا وتعمل فينا من خلال الصّلاة. وعندما يأتينا تفكير الغضب وعدم الرضا فإنّه يقودنا نحو التحسُّر. لنتوقف ولنقل للرّبّ: «أين تقيم؟ وإلى أين أنا ذاهب؟» والرّبّ موجود، وسيعطينا الكلمة الصحيحة والنصيحة للمضي قدمًا بدون هذا العصير المرالسلبي. لأنّ الصّلاة، وإن استخدمنا كلمة لا صلة لها بالله، هي دائمًا إيجابية. دائمًا. إنّها تقودك إلى الأمام. كلّ يوم يبدأ، إذا قبلناه بالصّلاة، صَحِبَتْه الشجاعة، والمشاكل التي نواجهها لن تكون عائقًا أمام سعادتنا، بل هي نداءاتٌ من الله، وفرصٌ للقائنا معه. وعندما يكون أحدٌ برفقة الرّبّ، سيشعر بأنّه أكثر شجاعة وحرية وسعادة أيضًا.

لذلك لنصلِّ دائمًا من أجل كلّ شيء ومن أجل الجميع، وأيضًا من أجل الأعداء. أوصانا يسوع بهذا: «صلوا من أجل أعدائكم». لنصلِّ من أجل

أحبائنا، لكن أيضًا من أجل الذين لا نعرفهم، ولنصلِّ حتى من أجل أعدائنا، كما قلت، وكما يدعونا الكتاب المقدس مرارًا إلى ذلك. الصّلاة تملأ المصلّي بمحبة فائقة. لنصلِّ بشكل خاص من أجل الأشخاص البائسين، من أجل الذين يبكون في الوِحدة، وقد يئسوا من وجود حب ما زال يخفق لهم. الصّلاة تعمل المعجزات. ويدرك الفقراء، بنعمة الله، أنّ صلاة المسيحيّ، حتى في وضعهم المهزوز، تجعل شفقة يسوع حاضرة: في الواقع، كان يسوع ينظر بحنان كبير إلى الجموع المتعبة والضالة مثلَ غنم لا راعيَ لها (را. مر ٦، ٣٤). الرّبّ يسوع هو – لا ننسى – ربّ الشفقة والقرب والحنان: ثلاث كلمات لا تُنسى أبدًا. لأنّه أسلوب الرّبّ يسوع: الشفقة والقرب والحنان.

تساعدنا الصّلاة أن نحبّ الآخرين بالرّغم من أخطائهم وخطاياهم. الإنسان يبقى دائما أهم من أفعاله، لذلك لم يحكم يسوع على العالم، بل خلّصه. إنّها حياة سيئة لأولئك الناس الذين يحكمون دائمًا على الآخرين، دائمًا ما يدينون ويحكمون: إنّها حياة سيئة وغير سعيدة. جاء يسوع ليخلصنا: افتح قلبك، واغفر، وبرّر الآخرين، وافهم، وكن قريبًا أيضًا من الآخرين، وارحم، وتحنن مثل يسوع. يجب أن نحبّ الجميع وكلّ واحد، وأن نتذكّر، في الصّلاة، أنّنا كلّنا خطأة، وفي نفس الوقت يحبنا الله جميعًا، واحدًا واحدًا. إذا أحببنا هذا العالم هكذا، أي بحنان، سنكتشف أنّ كلّ يوم وكلّ شيء يحمل كامنًا في داخله جزءًا من سرّ الله.

يقول التعليم المسيحيّ أيضًا: «الصّلاة وسط أحداث كلّ يوم، وكلّ لحظة، هي أحد أسرار الملكوت التي كُشِفَت «للصغار»، لخدّام المسيح، للفقراء المذكورين في التطويبات. إنّه لحقٌّ وعدلٌ أن نصلّي لكي يؤثّرَ في مجرى التاريخ مجيءُ ملكوت العدل والسلام. ولكن، من المهمّ أيضًا أن نجعل صلاتنا مثل عجينة تتضمن كلّ الأحوال اليوميّة الوضيعة. إذّاك كلّ أشكال الصّلاة يمكن أن تكون تلك الخميرة التي بها شبّه الرّبّ الملكوت» (را. رقم ٢٦٦٠).

الإنسان – الإنسان الرجل أو المرأة – مثلُ النسمة، ومثلُ العشب (را. مز ١٤٤، ٤؛ ١٠٣، ١٥). كتب الفيلسوف باسكال: «ليس من الضروري أن يسلّح الكون كلّه نفسه من أجل سحقه، يكفي شيء من البخار، أو قطرة ماء لتدميره»[١]. نحن كائنات هشة، لكنّنا نعرف أن نصلّي: هذه هي أعظم كرامة فينا،وهي أيضًا قوتنا. تشجّع. صلِّ في كلّ لحظة، وفي كلّ حالة، لأنّ الرّبّ يسوع قريب منا. وعندما تكون الصّلاة بحسب قلب يسوع، فإنّها تحقق المعجزات.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ٣ مارس/ آذار ٢٠٢١

مكتبة القصر البابوي

٢٥. الصّلاة والثالوث الأقدس ١

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء،صباح الخير!

في مسيرتنا التعليميّة في الصّلاة، نريد أن نرىٰ اليوم، والأسبوعَ المقبل، كيف تتَّسِع آفاقُ الصّلاة وتنفتح، مع يسوع المسيح، علىٰ الثالوث الأقدس -الآب والابن والروح القدس-، أي علىٰ بحر الله الفسيح الذي هو محبّة. يسوع هو الذي فتحَ السماءَ لنا وأدْخَلَنا في علاقة مع الله. هو مَن أقام لنا علاقةً مع الله الثالوث: الآب والابن والروح القدس. هذا ما أكَّده يوحنا الرسول في ختام مقدمةِ إنجيله: «إِنَّ اللهَ ما رآهُ أَحدٌ قطّ الابنُ الوَحيدُ الَّذي في حِضْنِ الآب هو الَّذي أَخبَرَ عَنه» (١، ١٨). وكشف لنا يسوعُ عن هذه الهوية، عن هوية الله الآب والابن والروح القدس. في الحقيقة، لم نكنْ نعرفُ كيف يمكنُ أن نصلّي: بأيّ كلماتٍ ومشاعرَ وعباراتٍ تَليقُ بالله. وفي طلَبِ التلاميذِ إلىٰ المعلّم: «يا ربّ، عَلِّمنا أَن نُصَلِّي» (لو ١١، ١)، الذي ذكرناه مرارًا في سياق هذه التعاليم، نجدُ تعثّر الإنسان، ومحاولاتِه المتكرّرة التي غالبًا ما تَفشَل، في توجُّهِه إلىٰ الخالق.

ليست كلُّ الصّلوات متساوية، وليست كلُّها مناسبة: الكتاب المقدس نفسُه يشهد علىٰ فشلِ العديد من الصّلوات، التي لم تُستَجاب. قد لا يكون اللهُ راضيًا أحيانًا عن صلواتنا ونحن لا ننتبه لذلك. ينظر الله إلىٰ يدَيْ من يصلّي:

لتكونَ اليدان طاهرتَيْن لا حاجةَ أن نغسلَها، بل ما نحتاجُ إليه هو أن نمتنعَ عن الأعمال الشريرة. كان القديس فرنسيس يصلّي فيقول: «Nullu homo ènedignu te mentovare»، أي «لا يوجدُ إنسانٌ يستحِقُّ أن يَذكُرَك» (نشيد أختنا الشمس).

ولكن لعلّ أبلغَ اعترافٍ وأشدَّه تأثيرًا يعبِّرُ عن فقرِ صلاتنا جاءَ على شِفاهِ قائد المائة الروماني الذي توسَّلَ يومًا إلى يسوع ليَشفِيَ خادمَه المريض (را. متى ٨، ٥- ١٣). شعرَ بأنّه لم يكُنْ مستحقًّا على الإطلاق: إذ لم يكُنْ يهوديًّا، وكان قائدًا في جيشِ احتلالٍ مكروه. لكنَّ قلقَه على خادمِه جعلَه يَجرُؤُ، ويقول: «يا رَبّ، لَستُ أَهْلاً لأَن تَدخُلَ تَحتَ سَقفِي، ولكِن يَكْفِي أَن تَقولَ كَلِمَةً فيَبرَأَ خادِمي» (آية ٨). إنّها العبارة التي نكرِّرُها نحن أيضًا في كلّ ليتورجيا إفخارستية. الحوارُ مع الله هو نعمة: ونحن لسنا أهلًا له، ليس لنا أيُّ حقٍّ في الوقوفِ أمامَ الله. نحن كَمَن «يَعرُجُ» مع كلِّ كلمةٍ نقولُها، وكلِّ فكرة... لكنَّ يسوع هو الباب الذي يسمح لنا بأن ندخلَ في علاقةٍ مع الله.

لماذا يجب أن يحبَّ اللهُ الإنسانَ؟ لا توجد أسباب لذلك، لا توجَدُ نسبةٌ بين الله والإنسان... ففي معظمِ الأساطيرِ الدينية، أنْ يفكِّرَ إلهٌ في شؤونِ الناس، هذا أمرٌ غيرُ وارد. بل كانَت شؤونُ الناسِ تُعتبَرَ مزعجة ومملّة، لا يَجدُر ذكرُها. لنتذكّر كلامَ الله لشعبه الذي يردّده سفرُ تثنية الاشتراع: «أَيَّةُ أُمَّةٍ لَها آلِهة قَريبةٌ مِنها مِثلَما أنا قَريبٌ مِنكُم؟». إن قرب الله هذا، هو ما كشفه الله عن ذاته. يقول بعض الفلاسفة أنّ الله لا يقدر أن يفكِّرَ إلّا في نفسِه. الواقع هو أنّنا نحن البشر الذين نحاولُ استرحامَ الألوهيّة لنكونَ مَرضِيِّين في عينَيْها. ومن هنا نشأَ واجبُ «العبادة»، مع كلِّ ما رافقَها من ذبائِحَ وعباداتٍ يجبُ تقدمتُها باستمرارٍ لاسترضاءِ إلهٍ أخرسَ وغيرِ مبالٍ. لا حوار معه. وحده يسوع دخل في حوار، وما كشفَه اللهُ لموسى قبلَ يسوع، عندما قدّمَ اللهُ نفسَه له. لنتذكّر: «أَيَّةُ أُمَّةٍ لَها آلِهة قَريبةٌ مِنها مِثلَما أنا قَريبٌ مِنكُم؟». قربُ الله منّا يُدخِلُنا في حوارٍ معه.

أن يحبَّ اللهُ الإنسانَ، هذا أمرٌ لم نكُنْ نجرُؤُ تصديقَه، لو لم نعرِفْ يسوع. ومعرفتنا ليسوع جعلتنا نفهم هذا الأمر، كَشفَته لنا. إنّها المَعثَرَةُ التي نراها وكأنها منقوشةٌ نقشًا في مَثَلِ الأبِ الرحيم، أو في مَثَلِ الراعي الذي ذهبَ يبحثُ عن الخروفِ الضالّ (را. لو ١٥). هذه أمورٌ لم يكُنْ من الممكنِ أن نتصوَّرَها، ولا أن نفهَمَها، لو لم نلتقِ بيسوع. أيُّ إلهٍ مستعدٌّ أن يموتَ من أجلِ البشر؟ أيُّ إلهٍ يحبّ دائمًا وبصبرٍ دون أن يطالب بأن نقابلَه بالحبِّ نفسِه؟ أيُّ إلهٍ يقبلُ نكرانَ الجميلِ المُرعِب في ابنٍ له يطلُبُ منه الميراثَ مُسْبَقًا، ثم يترُكُ البيتَ ويبدّدُ كلَّ شيء؟ (را. لو ١٥، ١٢ – ١٣).

يسوع هو الذي كَشَفَ قلبَ الله. هكذا يبيّنُ لنا يسوع من خلالِ حياتِه إلى أيِّ مدًى اللهُ هو أبٌ. أبٌ قريبٌ وشفوقٌ وحنون. لا نَنْسينَّ هذه الكلمات الثلاث التي تعبِّرُ عن أسلوب الله: قربٌ وشفقةٌ وحنان. إنّها أسلوبُه للتعبير عن أبوّته لنا. لا أحد أبٌ مثلُه. يصعُب علينا أن نتصوّرَ المحبّةَ التي يحمِلُها الثالوثُ الأقدس، وما هو عمقُ المحبّةِ المتبادَلةِ بين الآب والابن والرّوح القدس، ومهما تصوَّرْنا نبقَى بعيدِين في تصوُّرِنا. الأيقوناتُ الشرقية تتيحُ لنا أن نُدرِكَ بحَدْسِنا شيئًا من هذا السرّ الذي هو أصلُ الكونِ كلِّه وفرحُه.

وخاصةً، لم يكُنْ من الممكنِ أن نصدِّقَ أنّ هذا الحبَّ الإلهيَّ سوف يَمتَدُّ ويَرسُو على شاطئِ بشريّتِنا: نحن الغايةُ النهائيةُ لحبٍّ لا مثيلَ له على الأرض. يقولُ التعليمُ المسيحيّ إنّ: «بشريّةَ يسوعَ المقدَّسة هي الطريقُ الذي يعلّمُنا به الرّوحُ القدُسُ أن نصلِّيَ إلى الله ونقول أبانا» (را. عدد ٢٦٦٤). وهذه هي نعمةُ إيمانِنا. لم يكُنْ بوُسعِنا حقًا أن نَرجُوَ دعوةً أسمى منها: بشريّةُ يسوع –اللهُ صار قريبًا بواسطة يسوع– جعلَتْ حياةَ الثالوثِ الأقدس نفسَها في متناولنا. فَتَحت بابَ سرِّ محبّة الآب والابن والروح القدس.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ١٧ مارس/ آذار ٢٠٢١

مكتبة القصر البابوي

٢٦. الصّلاة والثالوث الأقدس ٢

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

نكمّل اليوم تعليمنا في موضوع الصّلاة التي هي علاقة مع الثالوث الأقدس، ولا سيما مع الرّوح القدس.

أوّل عطيّة في كلّ وجود مسيحي هي الرّوح القدس. وليست عطيّة بين غيرها من العطايا العديدة، بل هي العطيّة الأساسيّة. الرّوح هو العطيّة التي وعدنا يسوع بإرسالها إلينا. بدون الرّوح لا توجد علاقة مع المسيح والآب. لأنّ الرّوح يفتح قلبنا على حضور الله ويشده إلى «دوامة» الحب التي هي قلب الله. نحن لسنا ضيوفًا وحجاجًا، في مسيرتنا على هذه الأرض فقط، بل نحن أيضًا ضيوف وحجاج في سرّ الثالوث الأقدس. نحن مثل ابراهيم، الذي التقى بالله، لما استقبل يومًا ثلاثة عابري طريق في خيمته. إذا استطعنا حقًّا أن نبتهل إلى الله، وأن ندعُوَهُ «أبّا – أبانا»، فذلك لأنّ الرّوح القدس يسكن فينا. هو الذي يغيّرنا في العمق ويجعلنا نختبر فرحًا شديدًا لأنّ الله يحبنا كأبناء حقيقيّين. كلّ العمل الرّوحي الذي بداخلنا تجاه الله يقوم به الرّوح القدس، هذه العطية. هو يعمل فينا حتى يحمل حياتنا المسيحيّة قُدُمًا نحو الآب مع يسوع.

يقول التعليم المسيحي في هذا الصدد: «كلَّ مرة نشرع في الصّلاة إلى يسوع،

يكون الرّوح القدس، بنعمته السابقة، هو الذي يجتذبنا على طريق الصّلاة. وبما أنّه يعلّمنا أن نصلّي وهو يذكّرنا بالمسيح، فكيف لا نصلّي إليه هو في ذاته؟ لذلك تدعونا الكنيسة أن نبتهل كلّ يوم إلى الرّوح القدس، خصوصًا في بدء ونهاية كلّ عمل مهم» (رقم ٢٦٧٠). هذا هو عمل الرّوح فينا. إنّه «يذكرنا» بيسوع ويجعله حاضرًا فينا – يمكننا أن نقول إنّه ذاكرتنا الثالوثية، إنّه ذاكرة الله فينا – ويجعله حاضرًا ليسوع، حتى لا يصير شخصيّة من الماضي: أي أنّ الرّوح يجعل يسوع حاضرًا في ضميرنا. لو كان المسيح بعيدًا في الزمن، لَكُنا وحيدين وتائهين في العالم. نعم، نتذكر يسوع، هناك، بعيدًا ولكن الرّوح هو الذي يجعله حاضرًا اليوم، الآن، وفي هذه اللحظة في قلوبنا. لكن، في الرّوح القدس يبقى كلّ شيء حيًّا: ويمكن للمسيحي في كلّ زمان ومكان أن يلتقي بيسوع. ما زالت إمكانية لقاء المسيح مفتوحة وليس فقط كشخصية تاريخية. لا: إنّه يشُدُّ المسيح إلى قلوبنا، والرّوح هو الذي يجعلنا نلتقي المسيح. إنّه ليس بعيدًا، الرّوح معنا: ما زال يسوع يعلّم تلاميذه ويغيّر قلوبهم، كما فعل مع بطرس وبولس ومريم المجدلية وجميع الرسل. لكن لماذا يسوع حاضر فينا؟ لأنّ الرّوح هو الذي يجعله فينا.

إنّها خبرة عاشها «مُصَلُّون» كثيرون: رجال ونساء كوّنهم الرّوح القدس على «قياس» المسيح، وملأهم بالرحمة والخدمة والصّلاة والتعليم... إنّها نعمة أن نكون قادرين أن نلتقيَ أشخاصًا من هذا النوع: إنّنا نرى حياة مختلفة تنبض فيهم. نَظَرُهم يرى ويمتد إلى «ما هو أبعد». ولا نفكر فقط في الرهبان والنساك. إنّنا نجد هؤلاء أيضًا بين الناس العاديين، أناسًا نسجوا تاريخًا طويلًا من الحوار مع الله، ومرُّوا أحيانًا بصراع داخلي، طهَّر إيمانهم. هؤلاء الشهود المتواضعون بحثوا عن الله في الإنجيل وفي الإفخارستيا التي تناولوها وسجدوا أمامها، وفي وجه الأخ الواقع في شدة، وحافظوا على حضور الرّوح فيهم مثل نار خفيّة مشتعلة.

أوّل واجب للمسيحيّين هو على وجه التحديد هذا: إبقاء هذه النار التي أشعلها يسوع على الأرض (را. لو ١٢، ٤٩)، وما هي هذه النار؟ إنّها المحبّة، محبّة الله، الرّوح القدس. بدون نار الرّوح، تنطفئ النبوءات، ويحل الحزن بدل الفرح، وتتحوَّل المحبّة إلى عادة، والخدمة إلى عبوديّة. تتبادر إلى ذهني صورة المصباح المضاء بجانب بيت القربان، حيث يُحْفَظُ القربان المقدس. حتى عندما تكون الكنيسة فارغة ويحل المساء، وحتى عندما تكون الكنيسة مغلقة، يظل هذا المصباح مضاءً، ويستمر في الاشتعال: لا أحد يراه، ومع ذلك يبقى مشتعلًا أمام الرّبّ. وهكذا فإنّ الرّوح في قلوبنا موجود دائمًا مثل هذا المصباح.

نجد أيضًا في التعليم المسيحي ما يلي: «إنّ الرّوح القدس الذي يملأ بمسحتِه كلّ كياننا، هو المعلّم الداخلي للصلاة المسيحيّة. إنّه صانع تقليد الصّلاة الحيّ. أجل، هناك طرق للصلاة بعدد المصلّين، ولكن الروح عينه هو الفاعل في الجميع ومع الجميع. وبالمشاركة مع الرّوح القدس تصير الصّلاة المسيحيّة صلاة في الكنيسة» (رقم ٢٦٧٢). يحدث في كثير من الأحيان أنّنا لا نصلّي، ولا نريد أن نصلّي أو نصلّي مرات عديدة مثل الببغاوات بأفواهنا ولكن القلب بعيد. هذا هو الوقت المناسب لنقول للرّوح، «تعال، تعال أيّها الرّوح القدس، وأنر قلبي. تعال وعلمني أن أصلي، وعلمني أن أنظر إلى الآب، وأن أنظر إلى الابن. وعلمني كيف يكون طريق الإيمان. وعلمني كيف أحب وقبل كلّ شيء علمني أن يكون لي موقف من الرجاء». يتعلق الأمر بدعوة الرّوح القدس باستمرار ليكون حاضرًا في حياتنا.

لذلك فإنّ الرّوح هو الذي يكتب تاريخ الكنيسة والعالم. ونحن صفحات مفتوحة مستعدة لاستقبال كتابته بيده عليها. ويكوّن الرّوح في كلّ منا عملا مَبتكَرًا خاصًّا بكلّ واحد، لأنّه لا يوجد مسيحي يشبه الآخر شَبَهًا تامًّا. في حقل القداسة اللامحدود، الله الواحد، الثالوث القدوس، المحبة، يبعث الشهود المتنوعين مثل الأزهار: الجميع متساوون في الكرامة، لكن كلّ واحد

فريد بالجمال الذي أراد الرّوح أن ينبعث منه، بحسب رحمة الله التي أرادت أن تجعل الجميع أبناء الله. لا ننسى، الرّوح الحاضر، إنّه حاضرٌ فينا. لنصغي إلى الرّوح، ولنستدعي الروح – إنّه العطية، العطية التي منحنا إياها الله – ولنَقُلْ له: «أيّها الرّوح القدس، أنا لا أعرف كيف يبدو وجهك - لا نعرف ذلك - لكني أعرف أنّك القوّة والنور وأنّك قادر أن تجعلني أذهب قُدُمًا وأن تعلمني كيف أصلّي. تعال أيّها الرّوح القدس». هذه صلاة جميلة: «تعال أيّها الرّوح القدس».

قداسةُ البابا فرنسيس

المقابلةُ العامّة عَبر وسائلِ التواصلِ الاجتماعيّ

في الصّلاة

الأربعاء ٢٤ مارس/ آذار ٢٠٢١

مكتبةُ القصرِ البابويّ

٢٧. الصّلاة في الشَّرِكة مع مريم

الإخوَةُ والأخواتِ الأعزّاء، صباح الخير

يُكَرَّسُ التَّعليمُ المسيحيُّ اليَوم في موضوع الصَّلاة في الشَّرِكَة معَ مَريَم، ويَحْدُثُ بالضَّبطِ في عَشيَّةِ عِيدِ البِشَارَة. نَحنُ نَعلَم أنَّ الطَّريق الرَّئيسيّ للصَّلاةِ المسيحيَّة هيَ إنسَانيَّةُ يَسُوع. في الواقع، إنَّ الثِّقَةَ المِثاليَّة للصَّلاةِ المسيحيَّة ستكُون بِلَا مَعْنَىٰ إذا لَم يَتَجَسَّدِ الكَلِمَة، ويمنحنا في الرّوح القدس عَلَاقَتَهُ البَنويَّة معَ الآب. أصغينا في القِراءة، عَن تَجمُّعِ التَّلامِيذ، والنِّساءِ التقيَّات ومَريم. كانوا يُصَلّون بعدَ صعودِ يسوع إلى السماء: إنَّها الجماعةُ المسيحيَّةُ الأُولى التِي انتَظرَت عطيَّةَ يسُوع، وَعْدَ يسُوع.

المَسِيحُ هُوَ الوَسِيط، الجِسرُ الذي نَعبُرُهُ لنَتَّجِه إلى الآب (را. تعليم الكنيسة الكاثوليكية، ٢٦٧٤). هوَ الفادي الوحيد: ولا يوجدُ فادِينَ أُخر مع المسيح. هو الوسيطُ بامتياز، هو الوسيط. كُلُّ صَلاةٍ نَرفَعُهَا إلى الله هِيَ بالمَسِيح، ومَعَ المَسِيح، وفِي المَسِيح وتَتِمُّ بفَضلِ شَفَاعَتِه. يَبْسُطُ الرُّوحُ القُدُسُ وَسَاطَةَ المَسِيح إلى كُلِّ زَمَانٍ ومَكَان: فلا خَلاصَ بأَحَدٍ غَيرِه (را. أعمال الرسل ٤، ١٢). يسوعُ المسيح: هوَ الوسيطُ الوحيدُ بينَ اللهَّ والبشَر.

تَأخُذُ المَرَاجِعُ الأُخرَىٰ التِي يَجِدُهَا المَسِيحيُّ لصَلَوَاتِهِ وتَقْوَاه مَعنَىً وقِيمَة،

مِنْ وَسَاطَةِ المَسِيح الوَحِيدَة، وأولها الصّلاة والعبادة إلى مَريَم العَذرَاء، أُمُّ يَسُوع.

إنَّها تَحتَلُّ مَكانَةً مُمَيَّزةً في الحَياة، وبِالتَّالي، أيضًا في صَلاةِ المَسِيحيّ، لأَنَّها أُمُّ يَسُوع. غَالِبًا مَا صَوَّرتهَا الكنَائِس الشرقيَّة على أنَّها أوديجيتريا، التي «تُشيرُ إلى الطَّريق»، أي الابن يَسُوع المَسِيح. يتبادرُ إلى ذِهني تلكَ الأيقونة القديمة للـ أوديجيتريا في كاتدرائيَّة بَاري، والبسيطَة: العذراءُ التي تُظهرُ يسُوعَ عاريًا. ومِن بعدُ وضعوا عليهِ قميصًا لتغطيةِ ذلكَ العُريّ، لكن الحقيقة هيَ أنَّ يسوعَ صُوِّرَ عاريًا، للإشارةِ إلى أنَّهُ، الرجلُ المولودِ مِن مَريَم، هوَ الوَسِيط. وهيَ تُشيرُ إلى الوَسيط: إنها الـ أوديجيتريا. في الأيقُونَاتِ المَسِيحِيَّة، هيَ حَاضِرَةٌ في كُلِّ مَكَان، وأَحيَانًا في مَكَانَةٍ بَارِزَة، ولَكِن دائمًا بتَوَافُقٍ معَ الابن ورسالته. يَدَاهَا وعَينَاهَا وسُلُوكَهَا هُمْ «تَعلِيمٌ» حَيّ، ويُشِيرُون دائمًا إلى المِفصَل، المَركَز وهو: يَسُوع. مَريَم مُتَوَجِّهة إليهِ بالكَامل (را. تعليم الكنيسة الكاثوليكية ، ٢٦٧٤). إلى درجةِ أَنَّهُ يُمكنُنا القَول أنَّها تِلميذَةٌ أَكثرُ مِنها أُمّ. كانت تِلكَ الإشارةُ في عُرسِ قَانا الجليل: قالت مريم «افعَلوا ما يقولُ لكم». تُشيرُ دائمًا إلى المَسيح؛ هِي التِّلميذةُ الأُولى.

هَذَا هوَ الدَّورُ الذِي لَعِبَتهُ مَريَم طَوَالَ حَيَاتِهَا الأَرضِيَّة وتَحتَفِظُ بِهِ إلَى الأَبَد: أنْ تَكُونَ أَمَةُ الرَّبِّ المُتَوَاضِعَة. فِي مَرحَلةٍ مُعَيَّنة، فِي الأَنَاجِيل، يَبدو أَنَّها تَتَوارَى إلى حَدٍّ ما؛ لَكِنَّها تَعُودُ في اللَّحظَاتِ الحَاسِمَة، كَما حَصَلَ في قَانَا، عِندَمَا صَنَعَ الإبن، بِفَضلِ تدخلها المتنبِّه، أولى «آياته» (را. يو ٢، ١-١٢)، ثُمَّ علَى الجُلجُلة، عند أَقدَامِ الصَّلِيب.

لَقَد بَسَطَ يَسُوعُ أُمُومَةَ مَريَم عَلَى الكَنِيسَةِ كُلِّهَا عِندَما أَوكَلَ إِلَيها تِلمِيذهُ الحَبِيب، قَبلَ مَوتِهِ عَلى الصَّلِيب بِقَلِيل. مِن تِلكَ اللَّحظَة، وَضَعنَا جَمِيعًا تَحتَ سِترِها، كَمَا يَظهَرُ فِي بَعضِ اللَّوحَاتِ الجِدَارِيَّة أَو اللَّوحَاتِ التِي تَعُودُ إِلَى العُصُورِ الوُسطَى. وأيضًا، في الأنتيفونة الأولى بحسبِ الطَّقس اللاتينيّ

– تحتَ ظلِّ حمايتكِ نلتجئُ يا والدةَ اللهِّ القدّيسة – العذراءُ التي، عَهِدَنا إليها يسوع كَأُمٍّ، هِي تضمُّنا جميعًا؛ ولكن كأمّ، لا كإلهة، ولا كَمُخَلِّصَة: بَل كأُمّ. صحيحٌ أنَّ التَّقوىٰ المسيحيَّة تُعطِيها دائمًا ألقابًا جَميلة، كما يفعلُ الابن مع أُمِّه: كَم مِن الكلماتِ الجميلةِ التي يقُولُها الابنُ لأمِّه التي يُحبُّها! لكِن يجبُ علينا أن ننتبه: إنَّ العباراتِ الجميلة التي تَقُولها الكنيسةُ والقدِّيسونَ عَن مَريَم لا تُلغي شيئًا عَن تَفَرُّدِ المسيحِ بالفداء. هُو الفادي الوحيد. إنّها تعابيرُ حُبٍّ كما الابنُ لِأُمِّه، في بعضِ الأحيان مبالغٌ فِيها. لكنَّ الحُبّ، كَما نَعلَم، يجعلُنا نقومُ دائمًا بأشياءٍ مبالغٍ فِيها، ولكِن بِحُبّ.

وهَكذَا بَدَأنَا نُصَلِّي لَهَا بِبَعضِ العِبَارَاتِ المُوَجَّهةِ إِلَيهَا، المَذكُورَة فِي الأَنَاجِيل: «المُمتَلِئَة نِعمَةً»، «مُبَارَكَة أَنتِ فِي النِّسَاء» (را. تعليم الكنيسة الكاثوليكية، ٢٦٧٦ وما يليها). فِي صَلَاةِ السَّلَامُ عَلَيكِ يَا مَريَم، سَيُدخَلُ قَرِيبًا لَقَبُ «والِدَةُ الإِلَه»، الذِي أَقَرَّهُ مَجمَعُ أَفَسُس. ومِثلَمَا حَدَثَ فِي صَلاةِ الأَبَانَا، بَعدَ التَّسبِيح نُضِيفُ الدُّعَاء: نَطلُبُ مِن وَالِدةِ الإِلَه أَن تُصَلِّي مِن أجلِنَا نَحنُ الخَطَأَة، حَتَّىٰ تَشفَعَ بنا بِحَنَانِهَا، «الآنَ وفِي سَاعَةِ مَوتِنَا». والآن،نُصَلِّي لَهَا فِي مَوَاقِفِ الحَيَاةِ المَلمُوسَة، وفِي اللَّحظَةِ الأَخِيرَة، حتَّىٰ تُرافِقنَا – كأمٍّ، كأوَّل تلميذةٍ – فِي العُبُورِ إِلَىٰ الحَيَاةِ الأَبَدِيَّة.

مَريَم حَضِرةٌ دَائمًا بِجَانِبِ أَبنَائِهَا الذِينَ يُغَادِرُونَ هَذَا العَالَم. إِذَا وَجَدَ شَخصٌ مَا نَفسَهُ وَحِيدًا ومَتروكًا، هِيَ تَكُون أمٌّ، تَكُون هُنَاك، فِي الجِوَار، كَمَا كَانَت بِجِوَارِ ابنِهَا عِندَمَا تَخَلَّىٰ عَنهُ الجَمِيع.

مَريَم كَانَت ولَا تَزَالُ حَاضِرَةً فِي أَيَّامِ الجَائِحَة، بِالقُربِ مِنَ الأَشخَاصِ الذينَ، للأسف، أَنهُوا رِحلَتَهُم الأَرضِيَّة فِي حَالَةٍ مِنَ العُزلَة، دُونَ عَزَاءِ القُربِ مِن أَحِبَّائِهِم. مَريَم حَاضِرةٌ هُناكَ دائمًا، بجانِبنَا، بِحَنَانِهَا الأُمُومِيّ.

لَا تَذهَبُ الصَّلواتُ المُوَجَّهَةُ إِلَيهَا سُدًى. امرَأَةُ الـ «نَعَمْ»، التِي قَبِلَت دَعوَةُ المَلَاكِ عَلىٰ عَجَل، تَستَجِيبُ أَيضًا لِطلباتنا، وتُصغي إِلَىٰ أَصوَاتِنَا، حَتَّىٰ تِلكَ

التِي تبقىٰ مغلقة فِي القَلب، والتِي لَيسَ لَدَيهَا القُوَّة لِلخُرُوج ولَكِنَّ الله أَعلَمُ بِهَا مِن أَنفُسِنَا. تُصغي لها كأمّ. تُدَافِعُ عَنَّا مَريَم فِي الأَخطَار، مِثلُ وأَكثَرُ مِن أَيِّ أُمٍّ صَالِحَة، فَهِيَ تَقلَقُ عَلَينَا، حَتَّىٰ عِندَمَا نَنشَغِلُ بِأُمُورِنَا ونَفقِدُ الاتِّجَاهَ إِلَى الطَّرِيق، ونُعَرِّضُ للخطر لا صِحَّتَنا فَحَسب، بَل أَيضًا خَلَاصَنا. مَريَم حاضرةٌ هُنَاك، تُصَلِّي مِن أَجلِنَا، وتُصَلِّي مِن أَجلِ من لا يُصَلّي. تُصلِّي معنا. لماذا؟ لِأَنَّهَا أُمَّنَا.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ٧ أبريل/ نيسان ٢٠٢١

مكتبة القصر البابوي

٢٨. الصّلاة في الشركة مع القدّيسين

الإخوَةُ والأخواتِ الأعزّاء، صباح الخير!

أودّ اليوم أن أركز على الصّلة بين الصّلاة وشركة القدّيسين. في الواقع، عندما نصلّي، نحن لا نفعل ذلك بمفردنا أبدًا: حتّى لو لم نفكّر في الأمر، فنحن منغمسين في نهرٍ مَهِيب من الدعوات التي تسبقنا وتستمر بعدنا.

في الصّلوات التي نجدها في الكتاب المقدس، والتي غالبًا ما يتردد صداها في الليتورجيّا، هناك أثر لقصص قديمة، ولتحرّر مُعجِز، وسَبْيٍ ونَفْيٍ حزين، وعودة مؤثِّرة، وتسابيح ترتفع أمام عجائب الخليقة... وهكذا يتمّ تناقل هذه الأصوات من جيل إلى جيل، في نسيج متشابك مستمر بين الخبرة الشخصيّة وخبرة الناس والبشريّة التي ننتمي إليها.لا أحد يستطيع أن ينفصل عن تاريخه، وعن تاريخ شعبه، نحن نحمل هذا الإرث دائمًا في العادات وفي الصّلاة أيضًا. في صلاة التسبيح، لا سيما في تلك التي تُزهر في قلوب الصغار والمتواضعين، يتردّد صدى نشيد تعظم الذي رفعته مريم إلى الله أمام نسيبتها أليصابات؛ أو من هتاف سمعان الشيخ الذي حمل الطفل يسوع بين ذراعيه وقال: «الآنَ تُطلِقُ، يا سَيِّد، عَبدَكَ بِسَلام، وَفْقاً لِقَوْلِكَ» (لو ٢: ٢٩).

الصّلوات – تلك الصالحة – تكون «منتشرة»، وتُروَّجُ باستمرار، مع أو

بدون رسائل على «الشبكات الاجتماعية»: من ممرّات المستشفيات، ومن لحظات الاحتفالات إلى تلك التي يعاني فيها المرء في صمت... إنّ ألَمَ كلّ واحدٍ هو ألمُ الجميع، وسعادة أحدهم تصبّ في نفوس الآخرين. الألم والسعادة هما جزء من التاريخ الوحيد: إنّهما قصّتان تصبحان من تاريخ حياة المرء. يمكن أن تعاش القصة من جديد بكلماتنا الخاصة، لكن الخبرة هي نفسها.

تولدُ الصلوات دائمًا: في كلّ مرّة نضم أيدينا ونفتح قلوبنا لله، نجد أنفسنا بصحبة قدّيسين مجهولين وقدّيسين معروفين يصلّون معنا ويتشفعون لنا، كأنّهم أخوتنا وأخواتنا الكبار، الذين مرّوا في مغامرتنا البشريّة نفسها. لا يوجد حزن في الكنيسة ويبقى وحيدًا، ولا تُذرف دمعة في النسيان، لأنّ كلّ شيء يتنفّس ويشترك في نعمة مشتركة. ليس من قَبِيلِ المصادفة أنّ المدافن في الكنائس القديمة كانت في الحديقة المحيطة بالكنيسة، وكأنّنا نقول إنّ جوقة من سبقونا يشاركوننا بطريقة ما في كلّ إفخارستيّا. هناك آباؤنا وأجدادنا، وهناك العرّابون والعرّابات، ومعلّموا التعليم المسيحيّ ومعلمون آخرون... هذا الإيمان المتوارث، الذي تم نقله، والذي تسلمناه: لقد تمّ نقل طريقة الصّلاة أيضًا بواسطة الإيمان، الصّلاة.

القدّيسون ما زالوا هنا، هم ليسوا بعيدين عنّا؛ وحضورهم في الكنائس يستذكر «سحابة الشهود» التي تحيط بنا دائمًا (را. عب ١٢، ١). لقد أصغينا في البداية إلى قراءة الفقرة من الرسالة إلى العبرانيين. إنّهم شهود لا نعبُدهم – وهذا مفهوم، نحن لا نعبد هؤلاء القدّيسين – ولكنّنا نكرمهم، ويقودوننا بألف طريقة مختلفة إلى يسوع المسيح، الرّبّ والوسيط الوحيد بين الله والإنسان. إنّ القدّيس الذي لا يقودك إلى يسوع المسيح، هو ليس قديسًا، ولا حتى مسيحيًا. يذكّرك القدّيس بيسوع المسيح لأنّه سار في طريق الحياة كمسيحيّ. القدّيسون يذكروننا أنّه حتّى في حياتنا، وإن كنّا ضعفاء ومنغمسين بالخطيئة، يمكن أن تُزهِر فينا القداسة. نقرأ في الأناجيل أنّ أوّل قديس

«طوّب» كان لصًا و «طوّب» ليس من قبل البابا، ولكن من قبل يسوع نفسه. القداسة هي مسيرة الحياة، واللقاء مع يسوع، طويلة كانت أم قصيرة، أم في لحظة، لكنّها دائمًا شهادة. القدّيس هو شهادة رجل أو امرأة التقى بيسوع واتبع يسوع. لم يفت الأوان أبدًا لكي نعود إلى الرّبّ، الذي هو صالح وكثير الرحمة (را. مز ١٠٢، ٨).

يشرح التعليم المسيحي أنّ القدّيسين «يعاينون الله، ويسبّحونه ولا ينقطعون عن الاهتمام بمن تركوهم على الأرض. [...] وشفاعتهم هي أسمى خدمة لقصد الله. فنستطيع لا بل علينا أن نصلّي إليهم لكي يشفعوا فينا وفي العالم كلّه» (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٦٨٣). نجد في المسيح تضامنًا عجيبًا، بين أولئك الذين انتقلوا إلى الحياة الأخرى، وبيننا نحن الحُجّاج في هذه الحياة: أعزّائنا الذين رحلوا عنّا، هم يستمرّون في الاعتناء بنا من السماء. هم يصلّون من أجلنا ونحن نصلّي من أجلهم، ونصلّي معهم.

إنّ رباط الصّلاة هذا بيننا وبين القدّيسين، أي بيننا وبين الناس الذين بلغوا ملء الحياة، نختبره بالفعل هنا، في الحياة الأرضيّة: نصلّي من أجل بعضنا البعض، ونسأل ونقدّم الصّلوات... إنّ الطريقة الأولى للصّلاة من أجل شخص ما هي التحدث إلى الله، عنه أو عنها. إذا فعلنا هذا بتكرار، وكلّ يوم، لن ينغلق قلبنا، بل سيظلّ مفتوحًا على الإخوة. الصّلاة من أجل الآخرين هي الطريقة الأولى لمحبتهم، وتدفعنا إلى التقرّب الحقيقي. حتّى في أوقات النزاع، تتمثّل إحدى طرق حلّ النزاع وتخفيفه بالصّلاة من أجل الشخص الذي أختلف معه. وشيء ما سيتغير مع الصّلاة. أوّل ما يتغير هو قلبي، وموقفي. يغيره الرّبّ ليجعل الالتقاء ممكنًا، إلتقاء جديد، وليمنع الصّراع من أن يصبح حربًا لا نهاية لها.

الطريقة الأولى لمواجهة وقت الشدّة هي أن نطلب من الإخوة، وخاصّة القدّيسين، أن يُصلّوا من أجلنا. إنّ الاسم الذي نلناه في المعموديّة ليس بطاقة

أو زخرفة! هو عادةً ما يكون اسم العذراء أو القدّيس أو القدّيسة، الذين لا ينتظرون سوىٰ «مدّ يد العون لنا» في الحياة، مدّ يد العون لنا، لكي نحصل من الله علىٰ النعم التي نحن بأمسّ الحاجة إليها. إذا كانت التجارب في حياتنا لم تتجاوز الذروة، وإذا كنّا لا نزال قادرين علىٰ المثابرة، وإذا كنّا، علىٰ الرّغم من كلّ شيء، نمضي قُدمًا بثقة، فربّما نحن ندين بهذا كلّه، لا لاستحقاقاتنا، وإنّما لشفاعة الكثير من القدّيسين، بعضهم في السماء، والبعض الآخر هم حجّاج مثلنا علىٰ الأرض، الذين يحمونا ويرافقونا، لأنّنا نعلم جميعًا أنّه يوجد هنا علىٰ الأرض أناس قدّيسون، رجال ونساء قدّيسون ويعيشون في القدّاسة. هم لا يعرفون ذلك، وكذلك نحن لا نعرف ذلك، ولكن هناك قدّيسين، قدّيسين عاديين، قدّيسين مختبئين أو كما أحب أن أقول «القديسون المجاورون»، أولئك الذين يعيشون معنا في الحياة، ويعملون معنا، ويقودونا إلىٰ حياة من القدّاسة.

ليكن مباركإذًا يسوع المسيح، مخلّص العالم الوحيد، جنبًا إلىٰ جنب مع هذا الازدهار الهائل للقدّيسين والقدّيسات، الذين يملؤون الأرض والذين جعلوا من حياتهم تسبيحًا لله. لأنّه – كما أكّد القديس باسيليوس – «[القدّيس] يقدّم ذاته ليسكن مع الله وهو يُدعىٰ هيكله» (Liber de Spiritu Sancto, 26, 62: PG 32, A184؛ را. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٦٨٤).

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ١٤ أبريل/ نيسان ٢٠٢١

مكتبة القصر البابوي

٢٩. الكنيسة معلّمة للصّلاة

الإخوَةُ والأخواتِ الأعزّاء، صباح الخير!

الكنيسة هي مدرسة صلاة كبيرة. لقد تعلّم الكثير منّا تهجئة الصّلوات الأولى أثناء الوقوف في أحضان آبائنا أو أجدادنا. ربما مازلنا نحتفظ بذكرى أمّنا وأبينا اللذين علمانا أن نتلو الصّلاة قبل الذهاب إلى النوم. غالبًا ما تكون لحظات الصّلاة هذه التي يسمع فيها الأهل بعض الأشياء الحميمة من أطفالهم ويمكنهم تقديم نصائحهم لهم المستوحاة من الإنجيل. ثمّ، في مسيرة النمو، تُعقد لقاءات أخرى، مع شهود آخرين ومعلمي الصّلاة (را. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٦٨٦-٢٦٨٧). من الجيد أن نتذكرهم.

تتميز حياة الرعية وكلّ جماعة مسيحية بالأزمنة الليتورجية وصلاة الجماعة. تلك الهبة التي نلناها في طفولتنا بكل بساطة، ندرك أنّها تراث عظيم، وتراث غني جدًا، وأنّ خبرة الصّلاة تستحق أن نتعمق فيها أكثر فأكثر (را. المرجع نفسه، ٢٦٨٨). إنّ عادة الإيمان ليست جامدة، بل هي تتطوّر معنا، هي ليس صلبةً، بل تنمو، حتّى في لحظات الأزمات والقيامة؛ بالأحرى، لا يمكن النمو من دون لحظات الأزمات، لأن الأزمة تجعلك تنمو: فالدخول في أزمة هي وسيلة ضروريّة للنمو. ونَفَسُ الإيمان هو الصلاة: إذ إنّنا ننمو في الإيمان بقدر

ما نتعلم الصّلاة. بعد مراحل معينة في الحياة، ندرك أنّه بدون الإيمان لم نكن قادرين على المضي قدمًا وأنّ الصّلاة كانت قوَّتُنا. ليس فقط الصّلاة الشخصية، ولكن أيضًا صلاة الإخوة والأخوات، وصلاة الجماعة التي رافقتنا ودعمتنا، والناس الذين يعرفوننا، والذين نطلب منهم الصّلاة من أجلنا.

لهذا السبب أيضًا، تزدهر في الكنيسة الجماعات والمجموعات المكرّسة للصّلاة باستمرار. حتى أن بعض المسيحيّين يشعرون بالدعوة إلى جعل الصّلاة هي العمل الرئيسي في أيامهم. توجد في الكنيسة أديرة ومناسك حيث يعيش فيها أشخاص مكرسون لله والتي غالبًا ما تصبح مراكزًا للإشعاع الروحي. إنّها جماعات صلاة تُشعّ بالروحانيّات. إنّها واحات صغيرة حيث يتم مشاركة الصّلاة العميقة وتُبنَى الشركة الأخوية يومًا بعد يوم. إنّها خلايا حيوية، ليس فقط للنسيج الكنسي بل للمجتمع نفسه. لنفكّر، على سبيل المثال، في الدور الذي لعبته الرهبنة في ولادة ونمو الحضارة الأوروبية، وكذلك في الثقافات الأخرى. الصّلاة والعمل في الجماعة تحافظان على استمراريّة العالم. إنّها محرّك.

كلّ شيء في الكنيسة يولد في الصّلاة، وكلّ شيء ينمو بفضل الصّلاة. عندما يريد العدو، الشرير، محاربة الكنيسة، فإنّه يفعل ذلك، أولاً وقبل كلّ شيء، بمحاولة استنزاف مصادرها، ومنعها من الصّلاة. على سبيل المثال، نراه في مجموعات معينة تتّفق على إجراء إصلاحات كنسية، وتغييرات في حياة الكنيسة... فهناك كلّ المنظمات، وهناك وسائل الإعلام التي تعلن للجميع... لكن الصّلاة لا تُرى، ولا يتم الصّلاة. «علينا أن نغيّر هذا، علينا اتخاذ هذا القرار وهو قرار قوي بعض الشيء...». إنّه اقتراح مثير للاهتمام، مثير للاهتمام، فقط مع المناقشة، فقط مع وسائل الإعلام، ولكن أين الصّلاة؟ الصّلاة هي التي تفتح الباب للرّوح القدس، والذي يلهمُ للمضي قدمًا. التغييرات في الكنيسة من دون صلاة هي ليست تغييرات في الكنيسة، إنّها تغييرات جماعة. وعندما يريد العدو – كما قلت – محاربة الكنيسة، فإنّه يفعل ذلك، أولاً وقبل كلّ شيء،

بمحاولة استنزاف مصادرها، ومنعها من الصّلاة، و[حثها على] تقديم هذه الاقتراحات الأخرى. إذا توقفت الصّلاة، قد يبدو لفترة من الوقت أنّ كلّ شيء يمكن أن يستمر كما هو الحال دائمًا – بسبب الخمول –، ولكن بعد فترة وجيزة تُدرك الكنيسة أنّها أصبحت مثل غلاف فارغ، وأنّها فقدت المحور الداعم، وأنّها لم تعد تمتلك ينبوع الدفء والمحبّة.

إنّ حياة النساء والرجال القديسين ليست أسهل من حياة الآخرين، بل على العكس، هم أيضًا لديهم مشاكلهم التي يجب مواجهتها، علاوة على ذلك، هم غالبًا ما يكونون موضع معارضة. لكن قوتهم هي الصّلاة، التي يستمدونها دائمًا من «بئر» الكنيسة الأم الذي لا ينضب. بالصّلاة يغذّون شعلة إيمانهم، كما تُغذّى الشّعلة بزيت المصابيح. وهكذا يمضون في السير في الإيمان والرجاء. إنّ القديسين، الذين غالبًا ما يحسبون بلا قيمة في نظر العالم، هم في الواقع أولئك الذين يدعمونه، ليس بأسلحة المال والسّلطة، ووسائل الاتصال وما إلى ذلك، بل بأسلحة الصّلاة.

في إنجيل لوقا، يطرح يسوع سؤالاً مأساويًا يجعلنا دائمًا نفكر: «متى جاءَ ابنُ الإِنسان، أَفَتُراه يَجِدُ الإِيمانَ على الأَرض؟» (لو ١٨، ٨)، أم أنّه سيجد فقط منظمات، مثل مجموعة من «رجال أعمال الإيمان»، وجميعهم منظمون جيدًا، والذين يقومون بأعمال خيرية، وأشياء كثيرة أخرى...، أم أنه سيجد الإيمان؟ «متى جاءَ ابنُ الإِنسان، أَفَتُراه يَجِدُ الإِيمانَ على الأَرض؟». هذا السؤال هو في نهاية مَثَل يوضح الحاجة إلى الصّلاة بمثابرة، دون تعب (را. الآيات ١-٨). لذلك، يمكننا أن نستنتج أن مصباح الإيمان سيبقى مُتَّقدًا دائمًا على الأرض طالما يوجد زيت الصّلاة. هذا ما يحمل الإيمان ويحمل حياتنا المسكينة والضعيفة والخاطئة إلى المضي قدمًا، لكن الصّلاة تدفعها إلى الأمام بثبات. إنّه سؤال يجب علينا نحن المسيحيين طرحه على أنفسنا: هل أنا أصلّي؟ هل نحن نصلّي؟ كيف أصلّي؟ مثل الببغاوات أم أصلّي من كلّ قلبي؟ كيف أصلّي؟ هل أصلي بثقة من

أنّني في الكنيسة وأصلي مع الكنيسة، أم أصلّي قليلاً حسب أفكاري وأجعل أفكاري تصبح هي الصّلاة؟ هذه تكون صلاة وثنية وليست صلاة مسيحيّة. أكرر: يمكننا أن نستنتج أنّ مصباح الإيمان سيبقى مُتَّقدًا دائمًا على الأرض طالما يوجد زيت الصّلاة.

وهذه هي مهمة أساسيّة للكنيسة: الصّلاة والتربية على الصّلاة. ونقل مصباح الإيمان من جيل إلى جيل بزيت الصّلاة. إنّ مصباح الإيمان الذي ينير، والذي ينظّم الأشياء كما هي، لكن هذا لا يمكن أن يستمر إلا مع زيت الصّلاة. وإلا فإنّه سينطفئ. بدون نور هذا المصباح، لن نتمكن من رؤية طريق التبشير، بالعكس، لن نستطيع رؤية الطريق لكي نؤمن بشكل جيد؛ ولن نتمكن من رؤية وجوه الإخوة للاقتراب منهم ولخدمتهم؛ ولن نتمكن من أن ننير الغرفة التي سنلتقي فيها في الجماعة... من دون الإيمان ينهار كلّ شيء؛ ومن دون الصّلاة ينطفئ الإيمان. الإيمان والصلاة معًا. لا توجد وسيلة أخرى. لهذا السبب، الكنيسة، والتي هي بيت ومدرسة شَرِكَة، هي بيت ومدرسة إيمان وصلاة.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ٢١ أبريل/ نيسان ٢٠٢١

مكتبة القصر البابوي

٣٠. الصّلاة الشفويّة

الإخوَةُ والأخواتِ الأعزّاء، صباح الخير!

الصّلاة هي حوارٌ مع الله؛ وكلّ مخلوق، بمعنىً ما «يتحاورُ» مع الله. الصّلاة في الإنسان كلمة، ودعاء، وترنيمة، وشعر... كلمة الله صار جسدًا، وفي جسد كلّ إنسان تعود الكلمة إلى اللهبالصّلاة.

الكلمات هي خليقتُنا، لكنّها أيضًا أمّهاتنا، وهي تصوِّرُنا نوعًا ما. تجعلنا كلمات الصّلاة نسير بأمانٍفيوادي الظلمات، وتقودنا نحو مروجٍ خضراء وغنيّة بالمياه، وتجعلنا نعدُّ مأدبةً تجاه مضايقينا، كما يعلّمنا المزمور (را. مز ٢٣). تُولَدُ الكلمات من المشاعر، ولكن هناك أيضًا المسار المعاكس: وهو المسار الذي فيه الكلمات هي التي تولِّد المشاعر. يعلّم الكتاب المقدّس الإنسان أنينظر في كلّ شيء في نور الكلمة، وأنّ لا نستبعدَ شيئًا، ولا نمتنعَ عن شيءٍ يَهُمُّ الإنسان. ولا سيما الألم، إنْ كتَمْناه وأغلَقْنا عليه في داخلنا فإنّه يصبحُ أمرًا خطيرًا... الألم المُنغلِق في داخلنا، والذي لا يستطيع التّعبير عن نفسِهِ أو أن يُفرِج عن نفسِهِ، يمكنه أن يسمِّمَ الروح؛ إنّهُ مميت.

لهذا السبب يعلّمنا الكتاب المقدّس أن نصلّي، حتّى بكلماتٍ جريئةٍ في بعض الأحيان. لا يريدُكُتّاب الكتاب المقدّس أن يُضِلّونا بشأن الإنسان: إنّهم

يعلمونَ أنّمشاعر غير صالحة تكمن في قلبهِ، حتّىٰ الكراهية. لم يولدُ أيٌّ منّا قدّيسًا، وعندما تقرعُ هذه المشاعر الشّرّيرة علىٰ باب قلبنا، يجب علينا أن نكون قادرين علىٰ إبطالها بالصّلاة وبكلام الله. ونجدُ أيضًا في المزامير عبارات قاسية جدًّا ضدّ الأعداء – هي العبارات التييعلّمنا إياها المعلّمون الروحيّون لإيصالها إلىٰ الشّيطان وإلىٰ خطايانا –؛ ومع ذلك فهي كلماتمن واقع الإنسان، انتهىٰ بها المطاف إلىٰ نهر الكتاب المقدّس. وردت فيه هذه العبارات، لتشهد لنا أنّه لو لم تكن الكلمات موجودة لمواجهة العنف، ولإبطال الشر في المشاعر الشّرّيرة، ولتوجيهها حتّىٰ لا تؤذي، لغَمَرَ الشرُّ العالمَ.

أوّل صلاة بشريّة هي دائمًا تلاوةٌ شفويّة. فالشّفاه تتحرّك دائمًاأوّلًا. علىٰ الرّغم من أنّنا نعلم جميعًا أنّ الصّلاة لا تعني تكرار الكلمات، إلّا أنّ الصّلاة الشفويّة هي الأكثر أمانًا ومن الممكن دائمًا ممارستها. بينما المشاعر، مهما كانت نبيلة، ليست دائمًا ثابتة: فهي تأتي وتذهب، وتتخّلىٰ عنّا وتعود. ليس هذا فقط، بل نعمة الصّلاة أيضًا لا يمكن التنبّؤ بها: قد تكثر مشاعر التعزية في بعض اللحظات، وتغيب في أحلك الأيّام ويبدو وكأنّها تتبخّر كليًّا. صلاة القلب غامضة، وأحيانًا خفيّة. بينما الشّفتين، التييُهمَسُ بها هَمسًا أو التي تُتلىٰ في جوقة، هي متوفّرة دائمًا وضروريّة مثل العمل اليدويّ. يؤكّد التّعليم المسيحيّ: «الصّلاة الشفويّة مُكَوِّنٌ لا بدّ منهفي الحياة المسيحيّة.أُعجِبَ التلاميذ بصلاةِ معلمِهم الصّامتة، لكنّ يسوع لقّنهم صلاة شفويّة هي «الأبانا» (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٧٠١). «علِّمنا أن نُصلّي»، سألَ التّلاميذُ يسوع، فعلّمهم يسوع صلاةً شفويّة وهي: الأبانا. وفي تلك الصّلاة يوجد كلّ شيء.

يجب أن نتحّلىٰ جميعًا بتواضع بعضالمسنّين الذين، ربّما لأنّ سمعهم أصبح ثقيلًا، يتلونَ في الكنيسة، بصوتٍ منخفض الصّلوات التي تعلّموها وهم أطفال،ويملأون حنايا الكنيسة بالهمسات. هذه الصّلاة لا تزعج الصّمت،

بل تشهد على الأمانة لواجب الصّلاة، والتي تمّ ممارستها طوال الحياةمن غير أن يتركوها البتّة. هؤلاء المصلّون بصلاتهم المتواضعة هم غالبًا شفعاء كبار للرعايا: هم مثل شجر السنديان التي تمدّ أغصانها سنة بعد سنة، كي تظلّل أكبر عدد من الناس. الله وحده يعلم كم ومتى كان قلبهم متّحدًا بتلك الصّلوات التيكانوا يتلونها: من المؤكّد أنّ هؤلاء الأشخاص أيضًا اضطرّوا أن يواجهواليالِيَ ولحظات من الفراغ.في كلّ حال، يمكننا أن نظلّ دائمًا مخلصين للصّلاة الشفويّة. إنّها كالمرساة: نتشبّث بالحبل كي نبقى هناك، مخلصين، وليحصل ما يحصل.

علينا جميعًا أن نتعلّم من ثبات ذلك الحاجّ الروسيّ، الذي جاء ذكره في كتاب روحيّ شهير، والذي تعلّم فنّ الصّلاة من خلال ترديد الدّعاء نفسه مرارًا وتكرارًا: «يا يسوع المسيح، ابن الله، الرّبّ، ارحمنا نحن الخطأة!» (را. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٦١٦؛ ٢٦٦٧). كان يردّد فقط ذاك الدّعاء. إذا نال النِّعمَ في حياته، وإذا أصبحت الصّلاة يومًا ما حارّة جدًّا، لدرجة أنّها تجعلنا ندرك حضور الملكوت هنا بيننا، وإذا تحوّلت نظرته إلى نظرة طفل، فذلك لأنّه ثابر على تلاوة صلاة مسيحيّة بسيطة. في النّهاية، تصبح تلك الصّلاة جزءًا من نَفَسِهِ. جميلةٌ هي قصّة الحاجّ الروسيّ: إنّه كتابٌ في متناول الجميع. أوصيكم بقراءته: سيساعدكم على فهم ماهيّة الصّلاة الشفويّة.

لذلك، يجب ألّا نستخفّ بالصّلاة الشفويّة. قد يقول أحدهم: «حسنًا، إنّها للأطفال، وللجهلاء؛ أنا أبحث عن الصّلاة العقليّة، والتأمّل، والفراغ الداخلي حتّى يأتي الله». من فضلكم، يجب ألّا نقع في كبرياءِ ازدراءِ الصّلاة الشفويّة. إنّها صلاة البُسطاء التي علّمنا إيّاها يسوع: أبانا الذي في السموات... الكلمات التي نتلوها تقودنا بيدنا؛ وتعيد إلينا في بعض اللحظاتحلاوة الصّلاة، وتُوقِظُ أكثرَ القلوبِ جَفافًا؛ إنّهاتُوقِظ المشاعر التي فقدنا ذكراها، وتقودنا بيدنا نحو خبرة الله. وفوق كلّ شيء، هي الوحيدة، بكلّ تأكيد، التي توصِّلُ إلى الله

الطلبات التي يريد أن يسمعها. لم يتركنا يسوع في الضّباب. إذ قال لنا: «وأنتم، عندما تصلّون، قولوا!». وعلّمنا صلاة الأبانا (را. مت ٦، ٩).

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ٢٨ أبريل/ نيسان ٢٠٢١

مكتبة القصر البابوي

٣١. التأمّل

الإخوَةُ والأخواتِ الأعزّاء، صباح الخير!

سنتكلّم اليوم على الصّلاة التي نسمّيها التأمّل. بالنّسبة للمسيحيّ، «التأمّل» هو البحث عن تجميع أفكارنا: فنضعُ أنفسنا أمام صفحة الوحي الكبيرة لنجعلَها فكرنا وحياتنا، ولنستوعبَها بصورة كاملة. المسيحيّ، بعد أن قبل كلمة الله، لا يغلق عليها في نفسه، لأنّ هذه الكلمة يجب أن تلتقي بـ «كتاب آخر»، والذي يسمّيه التعليم المسيحي «كتاب الحياة» (را. التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٧٠٦). هذا ما نحاول القيام به في كلّ مرّة نتأمّل فيها في الكلمة.

لاقت ممارسة التأمّل اهتمامًا كبيرًا في السّنوات الأخيرة. ليس المسيحيّون وحدهم يتحدّثون عنها: إذ هناك ممارسة للتأمّل في جميع ديانات العالم تقريبًا. وهو نشاطٌ واسعُ الانتشار حتّى بين الأشخاص الذين ليس لديهم رؤية دينيّة للحياة. نحتاج جميعًا إلى التأمّل، والتّفكير وإعادة اكتشاف أنفسنا، إنّها ديناميكيّة بشريّة. ولا سيما في العالم الغربي الذي يفترس الإنسان. التأمّل ضروريّ لأنّهُ مثلُ حاجزٍ كبير أمام الإجهاد اليوميّ والفراغ المنتشر في كلّ مكان. لهذا، إذن، تبدو أمامنا صورة الشباب والبالغين، جالسين معتكفين، بصمت، وبعيون مغلقة... ولكن، يمكننا أن نسأل أنفسنا: ماذا يفعل هؤلاء الأشخاص؟ إنّهم يتأمّلون.

إنّها ظاهرةٌ يجبُ النّظرُ إليها برضى وارتياح: في الحقيقة نحن لسنا مخلوقين لكي نبقى دائمًا راكضين (وفي حركة دائمة). لنا حياة داخليّة لا يمكن أن نهملها وندوسها دائمًا. إذًا، التأمّل ضرورة للجميع. التأمّل، إذا جاز التّعبير، هو بمثابة وقفة وأخذ نفس في الحياة.

لكنّنا ندرك أنّ هذه الكلمة، بمجرّد دخولها في سياق مسيحيّ، لها مِيزَة لا يجوز إلغاؤها. التأمّل هو بُعد إنسانيّ ضروريّ، لكن التأمّل في السّياق المسيحيّ يذهب إلى أبعد من ذلك: إنّه بُعدٌ لا يجب إلغاؤه. لنتذكَّرْ دائمًا أنّ الباب الكبير الذي تمرّ من خلاله صلاة المعمّد هو يسوع المسيح. بالنّسبة للمسيحيّ، يدخل التأمّل من باب يسوع المسيح. وممارسة التأمّل أيضًا تسير في هذا المسار. وعندما يصلّي المسيحيّ، فإنّه لا يطمح إلى الشفافيّة الكاملة عن نفسه، ولا يبحث عن الجوهر الأعمق للأنا فيه. هذا جائز، لكن المسيحيّ يبحث عن شيء آخر. صلاة المسيحيّ هي قبل كلّ شيء لقاء مع شخص «آخر»: اللقاء المتعالي مع الله. إذا كانت خبرة الصّلاة تمنحنا السّلام الداخليّ، أو السّيطرة على الذّات، أو الوضوح في الطّريق الذي يجب أن نسلكه، فإنّ هذه النتائج، إذا جاز التّعبير، هي آثار جانبيّة لنعمة الصّلاة المسيحيّة والتي هي لقاء مع يسوع المسيح، أي أنّ التأمّل هو الذهاب للّقاء مع يسوع، مُسترشدين بعبارة أو كلمة من الكتاب المقدّس.

مصطلح «تأمّل» كان له معان مختلفة عبر التاريخ. وفي المسيحيّة أيضًا، يشير إلى خبراتٍ روحيّة مختلفة. ويمكن أن نجد بعض الخطوط المشتركة، وفي هذا، يساعدنا التعليم المسيحي الذي يقول: «طرائق التأمل متنوعة بعدد المعلمين الروحيين. [...] ولكن الطريقة ليست سوى دليل. المهم هو التقدم، مع الرّوح القدس، على طريق الصّلاة الوحيد، يسوع المسيح» (٢٧٠٧). وهنا يتمّ الإشارة إلى رفيق في المسيرة، والذي يرشدنا وهو: الرّوح القدس. التأمّل المسيحيّ غير ممكن من دون الرّوح القدس. فهو الذي يرشدنا للقاء يسوع.

وقد قال لنا يسوع: «سأرسل لكم الرّوح القدس. هو سيعلّمكم وسيشرح لكم. سيعلّمكم وسيشرح لكم». وأيضًا في التأمّل، الرّوح القدس هو المرشد للمضي قدمًا في اللّقاء مع يسوع المسيح.

لذلك، توجد طرق عديدة للتأمّل المسيحيّ: بعضها موجزة جدًّا، وبعضها مُسهَبَة وموضَّحَة، وبعضها تركّز على البعد الفكري للشخص، وغيرها يُبرز بالأحرى البعد العاطفي والوجداني. إنّها طُرُق. كلّها مهمّة وكلّها تستحقّ السير فيها، بقدر ما تساعد خبرةَ الإيمان لتصبح فعلًا كاملاً يشمل كلّ المؤمن: ليس فقط العقل يصلّي، الإنسان كلّه يصلّي، مُجمل الشخص، كما ولا المشاعر فقط تصلّي. كان القدماء يقولون إنّ أداة الصّلاة هو القلب، ولذلك أوضحوا أنّ الإنسان بكُلِّيتِهِ، بدءًا من مركزه، من القلب، يدخل في علاقة مع الله، وليس فقط بعض قدراته. لذلك، يجب أن نتذكّر دائمًا أنّ الأسلوب هو طريق، وليس هدفًا: كلّ أسلوب للصّلاة، إن كان مسيحيًّا، هو جزء من «اتّباع المسيح» الذي هو جوهر إيماننا. طُرق التأمّل هي عبارة عن طريق يمكنك اتّباعها للوصول إلى اللّقاء مع يسوع، ولكن إذا توقفت على الطريق ونظرت فقط إلى الطريق، فلن تجد يسوع أبدًا. ستصنع من الطريق إلهًا، ولكن الطريق هو وسيلة لكي يقودك إلى يسوع. يقول التعليم المسيحي موضحًا: «التأمل يحرك الفكر والمخيلة والانفعال والرغبة. وهذا التجييش ضروري لتعميق اليقين الإيمانيّ، وبعث توبة القلب ودعم إرادة اقتفاء المسيح. والصّلاة المسيحيّة تؤثر العكوف على التأمّل «أسرار المسيح» (عدد ٢٧٠٨).

هذه هي، إذًا، نعمة الصّلاة المسيحيّة: المسيح ليس بعيدًا، لكنّه دائمًا على علاقة معنا. لا يوجد أيّ جانب من جوانب شخصيّته البشريّة والإلهيّة، لا يمكن أن يصبح بالنّسبة لنا مكانًا للخلاص والسّعادة. كلّ لحظة من حياة يسوع على الأرض، من خلال نعمة الصّلاة، يمكن أن تصبح جزءًا من حاضرنا، بفضل الرّوح القدس، المُرشد. ولكنّكم تعلمون أنّه لا يمكنكم الصّلاة من

دون إرشاد الرّوح القدس. فهو الذي يرشدنا! وبقوة الرّوح القُدس، نحن أيضًا حاضرون في نهر الأردن، عندما نزل يسوع في الماء لينال المعموديّة. نحن أيضًا المدعوون في عرسِ قانا الجليل، عندما منح يسوع أفضل أنواع الخمر لإسعاد الزّوجين، أي أنّ الرّوح القدس هو الذي يربطنا بأسرار حياة المسيح هذه، لأنّه من خلال التأمّل بيسوع نختبر الصّلاة لنتّحد أكثر به. نحن أيضًا نشهد مندهشين آلاف الشفاءات التي قام بها المعلّم. لنأخذ الإنجيل، ولنتأمّل في أسراره، والرّوح سيقودنا لنكون حاضرين هناك. وفي الصّلاة -عندما نصلّي - نحن كلّنا كالأبرص الذي طَهُر، والأعمى بَرطيماوُس الذي استعاد البصر، ولعازر الذي خرج من القبر... نحن أيضًا شُفينا في الصّلاة كما شُفِيَ الأعمى بَرطيماوُس، وذاك الآخر، الأبرص ... نحن أيضًا قُمنا من بين الأموات، كما تمّت إقامة لعازر من بين الأموات، لأنّ صلاة التأمّل التي يقودها الرّوح القدس، تقودنا إلى إعادة إحياء أسرار حياة المسيح هذه وإلى اللّقاء معه، وإلى القول مع الأعمى: «يا ربّ ارحمني! ارحمني»-«وماذا تريد؟» - «أن أرى، الدُّخول في هذا الحوار». والتأمّل المسيحيّ، بتوجيه من الرّوح القدس، يحمل لنا هذا الحوار مع يسوع. لا توجد صفحة في الإنجيل لا مكان لنا فيها. التأمّل، لنا نحن المسيحيّين، هو وسيلة للقاء يسوع، وبالتّالي، بهذه الطريقة فقط، نكتشف ونعرف أنفسنا. وهذا ليس انطواءٌ على أنفسنا، لا: نحن نذهب إلى يسوع وفيه نلتقي بأنفسنا، ونكون قد شفينا، وقمنا، وأصبحنا أقوياء بنعمته، ولقاء يسوع، مخلّص الجميع، حتى لي أيضًا. وهذا بفضل إرشاد الرّوح القدس.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي

في الصّلاة

الأربعاء ٥ مايو/ أيار ٢٠٢١

مكتبة القصر البابوي

٣٢. صلاة المشاهدة

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

نواصل التّعليم المسيحيّ في موضوع الصّلاة وأودّ في هذا التّعليم أن أتكلم على صلاة المشاهدة.

إنّ بُعد المشاهدة في الإنسان – وهي ليست صلاة المشاهدة بعد – يشبه إلى حد ما «ملح» الحياة: فهو يعطي نكهة، يعطي طعمًا للحياة. يمكن أن نتأمل بمشاهدة الشمس التي تشرق في الصّباح، أو الأشجار التي تكتسي بالخضرة في الربيع، ويمكن أن يكون تأمل المشاهدة في الاصغاء إلى الموسيقى أو إلى أصوات العصافير، أو في قراءة كتاب، أو أمام عمل فني أو أمام التحفة الفنية التي هي الوجه البشري... وضع كارلو ماريا مارتيني، الذي عُيّن أسقفًا في ميلانو، عنوانًا لرسالته الرعويّة الأولى وهو: «بُعد المشاهدة في الحياة»: في الواقع، من يعيش في مدينة كبيرة، حيث كلّ شيء، يمكننا أن نقول، مصطنع وعمليّ، قد يفقد القدرة على المشاهدة. المشاهدة ليست طريقة عمل في المقام الأوّل، بل هي كيفية وجود.

أن نكون ميالين إلى صلاة المشاهدة ليس مسألة نظر بالعينَين، بل مسألة نظر بالقلب. وهنا يأتي دور الصّلاة، بكونها فِعْلَ إيمان ومحبة، وبكونها «نَفَسَ»

علاقتنا مع الله. الصّلاة تنقي القلب، وتنير أيضًا النظر، فتسمح لنا بفهم الواقع من وجهة نظر أخرى. يصف التّعليم المسيحيّ هذا التغيّر في القلب من خلال الصّلاة ويستشهد بشهادة مشهورة للقديس كاهن رعية آرس: «المشاهدة نظرة إيمان، تحدّق إلى يسوع. أنظر إليه وينظر إليّ، هذا ما كان يقوله فلاح في أرس كان يصلّي أمام بيت القربان، لكاهن رعيته القديس. [...] نور نظرة يسوع ينير عيون قلبنا، ويعلّمنا أن نرى كلّ شيء في ضوء حقيقته وشفقته على جميع الناس» (التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٧١٥). كلّ شيء يولد من هنا: من قلب يشعر أنّ أحدًا ما ينظر إليه بحبّ. عند ذلك تتم مشاهدة الواقع بعيون مختلفة.

«أنا أنظر إليه، وهو ينظر إليّ!». هذه هي المشاهدة المليئة بالحبّ، وهي نموذج للصلاة الأكثر حميميّة. لا نحتاج إلى كلمات كثيرة: يكفي أن نلقي نظرة، ويكفي أن نكون مقتنعين بأنّ حياتنا محاطة بحبّ كبير وأمين لا يمكن لأي شيء أن يفصلَنا عنه.

كان يسوع معلّمًا في هذه النظرة. في حياته، لم تغب قط الأوقات، والأماكن، وفترات الصّمت، والشّركة المليئة بالحبّ التي تسمح للوجود بأن لا تدمّره الشدائد الحتمية، بل تساعده على المحافظة على الجمال كما هو. سرّه كان علاقته مع الآب السّماوي.

لنفكر في حادثة التجليّ. تضع الأناجيل هذا المشهد في فترة صعبة من فترات رسالة يسوع، عندما كثرت من حوله المعارضة والرفض. حتى بين تلاميذه كثيرون لم يفهموه وتركوه. وواحدٌ من الاثني عشر كان يغذيّ في نفسه فكرة الخيانة. بدأ يسوع يتكلم بصراحة عن الآلام والموت الذي ينتظره في أورشليم. في هذا السّياق، صعد يسوع جبلًا مرتفعًا مع بطرس ويعقوب ويوحنا. يقول إنجيل مرقس: «تَجَلَّى بِمَرأَى منهم. فَتَلأَلأَت ثِيابُه ناصِعَةَ البَياض، حتَّى لَيَعجِزُ أَيُّ قَصَّارٍ في الأَرضِ أَن يأَتِيَ بِمِثلِ بَياضِها» (٩، ٢-٣). في اللّحظة التي أسيء

فيها فهم يسوع، ذهبوا بعيدًا، وتركوه وحده لأنّهم لم يفهموه، في هذه اللحظة التي أسيء فيها فهمه، عندما بدا أنّ كلّ شيء من حوله هوىٰ في هاوية من سوء الفهم، في تلك اللّحظة تألّق نورٌ إلهي. إنّه نور حبّ الآب الذي ملأ قلب الابن فتجلىٰ به كلّ شخصه.

لقد فهم بعض معلمي الرّوحانيات في الماضي صلاة المشاهدة علىٰ أنّها نقيض للعمل، وأشادوا بالدعوات التي تهرب من العالم ومشاكله لتكرس نفسها كلّيًّا للصلاة. في الواقع، في يسوع المسيح في شخصه وفي الإنجيل لا يوجد أي معارضة بين المشاهدة والعمل، لا. لا يوجد تناقض في إنجيل يسوع. ربما جاءت هذه المعارضة من تأثير بعض الفلاسفة الأفلاطونيين الجدّد، لكنّها بالتأكيد ازدواجية ليست من الرّسالة المسيحيّة.

توجد دعوة واحدة سامية في الإنجيل، وهي اتباع يسوع في طريق المحبّة. هذه هي الذروة، إنّها مركز كلّ شيء. بهذا المعنىٰ، فإنّ المحبّة والمشاهدة مترادفان، ويعبّران عن الشيء نفسه. أكّد القديس يوحنا الصّليب بأنّ فِعْلَ محبة صغير، محبّة صافيّة نقيّة، هو أكثر فائدة للكنيسة من جميع الأعمال الأخرىٰ مجتمعة. إنّ ما يأتي من الصّلاة وليس من ادعاءاتنا وغرورنا، وما يطهّرُه التواضع، حتىٰ لو كان فِعْلَ محبّة منعزلًا وصامتًا، هو أعظم معجزة يمكن أن يحققها المسيحيّ. وهذا هو طريق صلاة المشاهدة: أنظر إليه، وينظر إليّ! فِعلُ المحبة هذا في الحوار الصّامت مع يسوع يفيد الكنيسة كثيرًا.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة في الصّلاة

الأربعاء ١٢ مايو/ أيّار ٢٠٢١

باحة القديس دامازُس

٣٣. جهاد الصّلاة

أيّها الإخوَةُ والأخواتِ الأعزّاء، صباح الخير!

أنا سعيد باستأناف هذا اللقاء العام وجهاً لوجه، وسأقول لكم أمرًا واحدًا: ليس جميلًا التّحدّث أمام ألّا شيء، أمام كاميرا التلفاز. ليس جميلًا. والآن، بعد عدّة أشهر، وبفضل شجاعة المونسنيور سابيينزا – الذي قال: «كلا، سنفعل ذلك هناك» – حيث نحن مجتمعون. أحسنت مونسنيور سابيينزا! ولقاء الناس، ولقائكم، كلٌّ مع قصّته الخاصّة، ولقاء الناس الذين يأتون من جميع أنحاء العالم، من إيطاليا، والولايات المتّحدة الأمريكيّة، وكولومبيا، ولقاء فريق كرة القدم الصّغير المكوّن من أربعة أشقّاء سويسريّين – على ما أعتقد – الموجودين هناك... الأربعة. ينقصُ الأخت الصّغيرة، نتمنّى أن تصل... وأن أرى كلّ واحدٍ منكم يجعلني سعيدًا، لأنّنا جميعًا إخوة في الرّبّ، وأن ننظر بعضنا لبعض يساعدنا على الصّلاة بعضنا لبعض. حتّى الناس البعيدين لكنّهم قريبون دائمًا. والأخت جينيفيف الحاضرة والقادمة من لونابارك، والناس الذين يعملون: هم كثيرون وهم جميعًا هنا. شكرًا لحضوركم ولزيارتكم. احملوا رسالة البابا إلى الجميع. رسالة البابا هي أنّني أصلّي من أجل الجميع، وأطلب أن تصلّوا من أجلي ونحن متّحدين في الصّلاة.

وبالحديث عن الصّلاة، الصّلاة المسيحيّة، مثل الحياة المسيحيّة كلّها، ليست «نُزهة». لا أحد من المصلّين العظماء الذين نجدهم في الكتاب المقدّس

وفي تاريخ الكنيسة، كانت صلاته «أمرًا مريحًا». نعم، يمكنك أن تصلّي مثل الببّاغاوات، كذا وكذا، لكن هذه ليست صلاة. من المؤكّد أنّ الصّلاة تمنح سلامًا كبيرًا، ولكنّها تقتضي جهادًا داخليًّا، قاسًا أحيانًا، ويمكن أن يُرافق الجهاد حياتنا مدّة فترات طويلة. الصّلاة ليست بالأمر السّهل، ولهذا نحن نتهرّب منها. كلّما أردنا أن نصلّي، يتبادر إلى ذهننا على الفور أعمال أخرى كثيرة، وتبدو في تلك اللّحظة أنّها أمور ملحّة ومهمّة أكثر من الصّلاة. وهذا يحدث لي أيضًا: أذهب للصلاة قليلاً... ولكن لا، يجب أن أفعل هذا وذاك... نحن نتهرّب من الصّلاة، ولا أعرف لماذا، ولكن هذا هو الحال. تقريبًا دائمًا، بعد تأجيل الصّلاة، ندرك أنّ تلك الأشياء لم تكن ضروريّة على الإطلاق، فنكون قد أضعنا وقتنا. هكذا يخدعنا العدو.

جميع الرجال والنساء العابدين لا يعبّرون عن فرح الصّلاة فقط، بل أيضًا عن الانزعاج والتعب الذي يمكن أن تُسبّبه: في بعض اللّحظات، من الصّعب البقاء أمينين لأوقات الصّلاة وطرقها. بعض القدّيسين استمروا فيها مدّة سنوات دون أن يشعروا بأيّ ميل إليها، ودون أن يدركوا فائدتها. إنّ الصّمت والصّلاة والتّركيز هي تدريبات صعبة، وأحيانًا تتمرّد الطّبيعة البشريّة. نُفضّلُ أن نكون في أيّ مكان آخر في العالم، ولكن ليس هناك، على المقعد في الكنيسة للصّلاة. يجب على من يرغب في الصّلاة أن يتذكّر أنّ الإيمان ليس سهلاً، وأحيانًا يسير بنا في ظلام دامس تقريبًا، من دون أيّة مرجعيّة نلجأ إليها. هناك لحظات مظلمة في حياة الإيمان، ولهذا السّبب يسمّيها بعض القدّيسين: «الليل المظلم»، لأنّه لا يُمكن سماعُ شيء. لكنّني أستمر في الصّلاة.

يعرض التّعليم المسيحيّ قائمة طويلة من أعداء الصّلاة، أولئك الذين يجعلون الصّلاة صعبة، ويضعون العراقيل (را. عدد ٢٧٢٦-٢٧٢٨). يقول إنّ هناك من يشكّ في أنّها يمكن أن تصل حقًّا إلى الله العليّ القدير: ولكن لماذا يصمت الله؟ إذا كان الله كليّ القُدرة، يمكنه أن يقول كلمتين وينهي القصّة.

أمام صعوبة الوصول إلى الله، يعتقد البعض الآخر أنّ الصّلاة هي مجرّد عمليّة نفسيّة، ربّما تكون مفيدة، لكن لا حقيقة فيها ولا هي ضروريّة: إذ يمكن للمرء أن يكون ممارسًا من دون أن يكون مؤمنًا. وهكذا، تفسيرات كثيرة.

ومع ذلك، فإنّ ألدّ أعداء الصّلاة هُم في داخلنا. يقول التعليم المسيحي إنّهم: فتور الهمة أمام ما ينتابنا من جفاف روحي، أو حزن لأنّنا لا نعطي كلّ شيء لله، إذ لدينا «خيرات كثيرة»، أو خيبة أمل لأنّ الله لا يستجيب لنا بحسب ما نريد، أو جرح كبريائنا التي تأبى ذُل كونِنا خطأة، أو نرفض طابع المجانيّة في الصّلاة (را. عدد ٢٧٢٨). وهذا شيء قليل، ويمكن للقائمة أن تطول.

ماذا تفعل في وقت التّجربة، عندما يبدو أنّ كلّ شيء يتداعى؟ إذا استكشفنا تاريخ الروحانيّات، نلاحظ على الفور كيف كان لدى معلّمي الرّوح فكرة واضحة عن الموقف الذي وصفناه. وللتغلّب عليه، قدّم كلّ واحدٍ منهم بعض الإسهام: كلمة حكيمة، أو اقتراح لمواجهة الأوقات المحفوفة بالصّعوبات. ليس كلامهم نظريّات وضعوها وهم على مكاتبهم، لا، بل هي نصائح ولدت من خبرتهم، وتظهر أهميّة المقاومة والمثابرة في الصّلاة.

سيكون من المثير للاهتمام مراجعة بعض هذه النصائح على الأقل، لأنّها كلّها تستحقّ التعمّق فيها. على سبيل المثال، الرّياضات الروحيّة للقدّيس أغناطيوس دي لويولا. هي كتيّب فيه حكمة كبيرة، ويعلّمنا كيف نرتّب حياتنا. ويوضح لنا أنّ الدعوة المسيحيّة جهاد، وهي قرار بالوقوف تحت راية يسوع المسيح وليس تحت راية الشّيطان، في محاولة لفعل الخير حتّى عندما يصبح ذلك صعبًا.

في أوقات التّجربة، من الجيّد أن نتذكّر أنّنا لسنا وحدنا، وأنّ هناك من يسهر علينا ويحمينا. حتّى القدّيس أنطونيوس الكبير، مؤسّس الحياة الرهبانيّة، في مصر، واجه لحظات مروّعة، تحوّلت فيها الصّلاة إلى صراع شاقّ. يروي كاتب سيرة حياته، القدّيس أثناسيوس، أسقف الإسكندريّة، أنّ واحدة من

أسوأ الأحداث، حدثت للنّاسك القدّيس في سنّ الخامسة والثلاثين، في مرحلة منتصف العمر، وهي بالنسبة للكثيرين مرحلة الأزمات. تعرّض أنطونيوس لتجربة، لكنّه قاوم. وعندما عاد إلى صَفاء النّفس أخيرًا، التفت إلى ربّه وقال في شبه عتاب: «أين كنت؟ لماذا لم تأتِ فورًا لتُنهي آلامي؟». فأجاب يسوع: «أنطونيوس، أنا كنت هناك معك. لكنّني كنت أنتظر أن أراك تُجاهِد» (را. سيرة حياة القدّيس أنطونيوس، ١٠). الجهاد في الصّلاة. وفي كثيرٍ من الأوقات الصّلاة هي جهاد. أتذكّر شيئًا ما عِشتُهُ عن قرب عندما كنت في الأبرشيّة الأخرى. كان هناك زوجان لديهما ابنة تبلغ من العمر تسع سنوات، مصابة بمرض لم يعرف الأطبّاء ما هو. وأخيرًا، في المستشفى، قال الطّبيب للأم: «سيّدتي، اتصلي بزوجك». وكان الزوج في العمل؛ كانوا عمّالاً يعملون كلّ يوم. فقالت الأم للأب: «لن تحيا الطفلة إلى الغد. أصيبت بتلوث، ولا يمكننا فعل أيّ شيء». ربّما لم يذهب ذلك الرجل إلى القدّاس أيام الآحاد، لكن كان لديه إيمان كبير. خرج وبكى، وترك زوجته هناك مع الطفلة في المستشفى، واستقلّ القطار لمسافة سبعين كيلومترًا إلى بازيليكا سيّدة لوخان، شفيعة الأرجنتين. وهناك – كانت البازيليكا مغلقة، كانت السّاعة تقارب العاشرة ليلًا،– لقد تشبّث بشباك البازيليكا وصلّى للسيّدة العذراء طوال اللّيل، وجاهد من أجل صحّة ابنته. هذه ليست قصّة خياليّة. لقد رأيت ما حدث! وعشته بنفسي. لقد جاهد هذا الرجل هناك. أخيرًا، في السّاعة السّادسة صباحًا، فُتحت الكنيسة، ودخل ليحيّي السّيّدة العذراء: طوال الليل كان «يجاهد»، ثمّ عاد إلى البيت. وعندما وصل، بحث عن زوجته، لكنّه لم يجدها وفكّر: «لقد ماتت طفلتي. لا، لا يمكن أن تفعل بي هذا السّيّدة العذراء». ثمّ وجدها وهي تبتسم وقالت: «لا أعلم ماذا حدث؛ قال الأطباء إنّها تغيّرت وشفيت الآن». ذلك الرجل الذي جاهد في الصّلاة، قد نال نعمة السيّدة العذراء. لقد أصغت إليه السيّدة العذراء. وهذا ما رأيته: الصّلاة تصنع المعجزات، لأنّ الصّلاة ترتفع مباشرة

إلى مركز حنان الله الذي يحبّنا مثل الأب. وعندما لا يعطينا النعمة، سيعطينا نعمة أخرى سنراها بمرور الوقت. لكن من الضّروريّ دائمًا الجهاد في الصّلاة لطلب النعمة. نعم، أحيانًا نطلب نعمة نحتاجها، لكنّنا نطلبها هكذا، دون رغبة، ودون جهاد، ولكن الأمور الجادّة لا تُطلب بهذه الطريقة. الصّلاة هي جهاد والرّبّ معنا دائمًا.

إن لم نقدر أن نراه في لحظة عمًى يصيبنا، سنراه في المستقبل. وقد يحدث لنا أيضًا أن نكرّر العبارة نفسها التي قالها يعقوب مرّة: «حَقًّا، إِنَّ الرَّبَّ في هذا المَكان، وأَنا لم أَعلَمْ» (تكوين ٢٨: ١٦). في نهاية حياتنا، إذا نظرنا إلى الوراء، يمكننا أيضًا أن نقول: «اعْتَقَدْتُ أنّني كنتُ وحدي، لكن لا، لم أكن وحدي: كان يسوع معي». كلّنا يمكننا أن نقول ذلك.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة في الصّلاة

الأربعاء ١٩ مايو/ أيّار ٢٠٢١

باحة القديس دامازُس

٣٤. التّشتت والجفاف والكسل الرّوحيّ

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء،صباح الخير!

نتابع صفحات التّعليم المسيحيّ، ونتكلم في هذا التّعليم على التجربة التي نعيشها في الصّلاة، وسنظهر بعض الصّعوبات الشائعة جدًا، لنحددها ونتغلّب عليها. أن نصلّي ليس بالأمر السّهل: هناك العديد من الصّعوبات التي تأتي في الصّلاة. يجب علينا أن نعرفها ونحددها ونتغلّب عليها.

الصّعوبة الأولى التي يواجهها المصلّي هي التّشتت. (را. التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٧٢٩). تبدأُ بالصّلاة ثمّ يتشتّت عقلك، في العالم كلّه؛ قلبك هناك، وعقلك هناك... أي التشتّت عن الصّلاة. غالبًا ما تتعايش الصّلاة مع التّشتت. في الواقع، يصعب على العقل البشريّ أن يتوقف عند فكرة واحدة لفترة طويلة. وكلّنا اختبرنا هذه الدوامة المستمرة من الصّور والأوهام في حركة مستمرة في ذهننا، والتي ترافقنا حتى في أثناء النوم. وكلّنا يعرف أنّه ليس حسنًا أن نسير مع هذا الميل المضطرب.

الجهاد من أجل بلوغ حالة والتركيز عليها بصورة مستمرة لا يقتصر فقط على الصّلاة. إن لم نبلغ درجة كافية من التركيز، لا يمكننا أن ندرس ونستفيد، ولا يمكن حتى أن نعمل ونتقن عملنا. يَعلَمُ الرياضيون أنّ الفوز في المسابقات لا يتم فقط من خلال التدريب الجسدي، ولكن أيضًا من خلال انضباط الذهن: خاصةً مع القدرة على البقاء في حالة تركيز وانتباه.

ليس في التّشتت أية خطيئة، ولكن يجب مكافحته. ثم توجد، في تراث إيماننا، فضيلة ننساها عادة، ولكنّها حاضرة كثيرًا في الإنجيل، وهي السّهر. ويقولها يسوع كثيرًا: «اسهروا وصلّوا». ويذكرها التّعليم المسيحيّ صراحةً في تعليمه في موضوع الصّلاة (را. رقم ٢٧٣٠). دعا يسوع كثيرًا التّلاميذ إلى حياة مبنية على القناعة، تهديها فكرة عودته مرة ثانية، عاجلاً أم آجلاً، مثل العريس الذي يعود من العرس، أو السيّد الذي يعود بعد سفر. وإذ لا نعرف يوم وساعة عودته، فإنّ كلّ دقائق حياتنا ثمينة ويجب ألّا تضيع في التّشتت. في لحظة لا نعرفها، سيصدح صوت الله: في ذلك اليوم، طوبى لأولئك العبيد الذين سيجدهم مجتهدين، ولا يزالون مركزين على ما يهم حقًا. ولم يتشتتوا ساعين وراء كلّ ما يستهويهم ويدور في عقولهم، بل حاولوا أن يسيروا على الطّريق الصّحيح، وصنعوا الخير وأدّوا واجبهم. هذا هو التشتّت: الخيال يدور، ويدور، ويدور... سمّت القدّيسة تيريزا هذا الخيال الذي يدور في الصّلاة، بـ «مجنون البيت»: إنّه كالمجنون الذي يجعلك تدور وتدور... علينا أن نوقفه ونحبسه بحذر.

حديث مغاير يستحق أن نتكلّم عنه هو وقت الجفاف. يصفه التّعليم المسيحيّ على هذا النحو: «القلب لا يشعر بشيء، ولا يتذوق الأفكار والذكريات والعواطف حتى الرّوحيّة. هذا أوان الإيمان النقيّ، الذي يسهر بأمانة مع يسوع في النزاع والقبر» (رقم ٢٧٣١). يجعلنا الجفاف نفكّر في الجمعة العظيمة، في اللّيلة وفي السّبت المقدّس، طوال اليوم: يسوع لم يكن موجودًا، كان في القبر؛ مات يسوع، وكنا وحدنا. وهذه هي الفكرة الأُم للجفاف. غالبًا لا نعرف أسباب الجفاف: يمكن أن نكون نحن السبب، ويمكن أن يكون ذلك من الله، الذي يسمح ببعض المواقف في حياتنا الخارجيّة أو الداخليّة. أو في بعض الأحيان، يمكن أن يكون صداعًا أو ألمًا في الكبد يمنعك من الصّلاة. غالبًا لا نعرف السّبب جيّدًا. يصف المعلّمون الروحيّون خبرة الإيمان على أنّها

تناوب مستمر بين أوقات عزاء وحزن، هي لحظات يكون فيها كلّ شيء سهلًا، ولحظات كلّ شيء فيها ثقيلًا غاية الثقل. في كثير من الأحيان، عندما نقابل صديقًا، نقول: «كيف حالك؟» - «اليوم أنا مُحبط». في كثير من الأحيان نكون «محبطين»، أي ليس لدينا مشاعر، وليس لدينا عزاء، وليس لدينا القدرة. إنّها تلك الأيّام الرّماديّة البائسة... وهناك الكثير منها في الحياة! لكنّ الخطر يكمن في أن يكون القلب بائس: عندما يصل هذا «الإحباط» إلى القلب ويمرضه... وهناك من يعيش بقلب بائس. هذا أمر مريع: لا يمكننا أن نصلّي، ولا أن نشعر بالعزاء مع قلب بائس! أو لا يمكننا أن نحمل جفافًا روحيًّا مع قلب بائس. يجب أن يكون القلب منفتحًا ومشرقًا، حتّى يدخل نور الرّبّ. وإذا لم يدخل، يجب أن ننتظره برجاء. لكن لا أن نغلق على القلب في كلّ ما هو بائس.

ثمّ هناك شيء آخر مختلف هو الكسل، وهو عيب آخر، ورذيلة أخرى، هو تجربة حقيقية ضد الصّلاة، وبشكل عام، ضد الحياة المسيحيّة. الكسل هو «شكل من أشكال الإرهاق النفسي، سببه التراخي في أعمال الزهد، والضعف في السهر، والإهمال في المحافظة على القلب» (التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٧٣٣). إنّه أحد «الخطايا السبع الرئيسية»، وإذا سار مع الادعاء، يمكن أن يؤدي إلى موت النفس.

كيف نعمل إذاً في هذا التقلّب بين الحماس والإحباط؟ يجب أن نتعلّم أن نسير دائمًا. التقدّم الحقيقيّ في الحياة الروحيّة لا يقوم في كثرة الانخطاف الرّوحيّ، بل في القدرة على المثابرة في الأوقات الصّعبة: سِرْ، سِرْ، سِرْ... وإذا تعبت، توقّف قليلاً ثم سِرْ مرّة أخرى. ولكن مع مثابرة. لنتذكر قول القديس فرنسيس في الفرح الكامل: لا يقاس استحقاق الراهب بالنِعَم الكثيرة التي تمطرها عليه السماء، بل في ثباته في السّير، حتى عندما لا يعترف به أحد، أو عندما نتعرض لسوء المعاملة، أو أيضًا عندما يفقد كلّ شيء طعم البدايات. لقد مرّ جميع القديسين في هذا «الوادي المظلم»، وينبغي ألّا نتشكك، عند قراءة

يومياتهم، إذا قرأنا عن أمسيات صلاة كان لا رغبة لهم فيها، وعاشوها من دون أي ميل. يجب أن نتعلم أن نقول: «يا إلهي، حتى لو بدا لي أنّك، أنت تفعل كلّ شيء لتجعلني أتوقف عن الإيمان بك، فأنا سأستمر في الصّلاة إليك». المؤمنون لا يتوقفون عن الصّلاة أبدًا! قد تشبه صلاتنا أحيانًا صلاة أيوب، الذي لا يقبل أن يعامله الله بطريقة غير عادلة، فيحتج عليه ويدعوه إلى القضاء. ولكن، في كثير من الأحيان، حتّى الاحتجاج أمام الله هو طريقة للصّلاة أو كما قالت تلك المرأة العجوز: «الغضب من الله طريقة للصّلاة أيضًا»، لأنّ الطفل كثيرًا ما يغضب من والده: إنّها طريقة في العلاقة مع الأب. لأنّه يعرفه بأنّه «أب» فهو يغضب...

ونحن أيضًا، مع أنّ قداستنا وصبرنا أقل من أيوب بكثير، نعلم أنّ الله سيجيبنا في النهاية، في نهاية وقت الجفاف والحزن، الذي رفعنا فيه إلى السماء صراخًا صامتًا وأسئلة كثيرة «لماذا؟». هو سيستقبل كلّ شيء. لا تنسى صلاة «لماذا؟»: إنّها الصّلاة التي يقوم بها الأطفال عندما يبدؤون في عدم فهم الأشياء ويسمّيها علماء النّفس «سِنُّ الـ«لماذا»، لأنّ الطفل يسأل والده: «يا أبي، لماذا...؟ يا أبي، لماذا...؟ يا أبي، لماذا...؟». لكن لننتبه: الطفل لا يستمع إلى جواب أبيه. يبدأ الأب بالإجابة ويصل الطفل مع لماذا أخرى. يريد فقط أن يلفت نظر والده إلى نفسه، وعندما نغضب قليلاً من الله ونبدأ في قول بعض من لماذا، فإنّنا نلفت قلب أبينا نحو بؤسنا، والصّعوبات التي نواجهها، وحياتنا. ولكن نعم، تحلّوا بالشّجاعة بأن نقول لله: «ولكن لماذا...؟». لأنّه في بعض الأحيان، من الجيّد أن نغضب قليلاً، لأنّه يجعلنا نوقظ هذه العلاقة من ابن إلى أب، ومن ابنة إلى أب، والتي يجب أن نملكها مع الله. حتى أقسى تعبيراتنا وأكثرها مرارة، سيحضنها بحبّ الأب، وسيعتبرها مثل فعل إيمان، مثل صلاة.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة في الصّلاة

الأربعاء ٢٦ مايو/ أيّار ٢٠٢١

باحة القديس دامازُس

٣٥. اليقين في أن يُستجاب لنا

الإخوَةُ والأخواتِ الأعزّاء، صباح الخير!

هناك معارضة جذريّة أمام الصّلاة، والتي تنشأ من ملاحظة نقوم بها جميعًا: نحن نصلّي، ونطلب، ومع هذا، في بعض الأحيان تبدو صلواتنا غير مسموعة: ما طلبناه – لنا أو للآخرين – لم يتحقّق. نحن أيضًا عِشنا هذه التجربة مرّاتٍ عِدّة. ومن ثمّ، إذا كان السّبب الذي من أجله صلّينا نبيلاً (كطلب الشّفاعة من أجل صحّة مريض، أو كي تتوقّف الحرب)، فإنّ عدم الاستجابة يبدو شكًّا وحجر عثرة. على سبيل المثال الحروب: نحن نصلّي حتى تنتهي الحروب، الموجودة في مناطق كثيرة من العالم. لنفكّر في اليمن وسوريا، البلدان التي هي في حالة حرب منذ سنوات، منذ سنوات! بلدانٌ تعذّبها الحروب، ونحن نصلّي وهي لا تنتهي. ولكن، كيف يمكن أن يكون هذا؟ «بعضهم يتوقّف حتّى عن الصّلاة لأنّهم يعتقدون أن تضرّعهم لم يُستجب» (را. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٧٣٤). ولكن إذا كان الله أبًا، فلماذا لا يصغي إلينا؟ الذي أكّد لنا أنّه سيُعطي العطايا الصّالحة للأبناء الذين يسألونه (را. متّى ٧، ١٠)، فلماذا لا يستجيب لطلباتنا؟ كلّنا لدينا خبرة في هذا الأمر: لقد صلّينا وصلّينا من أجل مرض هذا الصّديق أو هذا الأب أو هذه الأم، ثمّ غادروا هذا العالم، ولم يصغِ الله إلينا. هي خبرةٌ عشناها جميعًا.

يقدّم لنا التّعليم المسيحيّ ملخّصًا جيّدًا عن الموضوع. إنّه يحذّرنا من خطرٍ

وهو أنّنا لا نعيش خبرة إيمان حقيقيّة، فنحوّل العلاقة مع الله إلى ما يشبه السّحر. الصّلاة ليست عصًا سحريّة، بل هي حوارٌ مع الله. في الواقع، عندما نصلّي، يمكن أن نقع في خطر ألّا نكون نحن الذين نخدم الله، بل ننتظر منه هو أن يخدمنا (را. ٢٧٣٥). صلاتنا هي دائمًا صلاة طلب، نريد توجيه الأحداث وفقًا لخطّتنا، ولا نقبل أيّة مشاريع أُخرى إلّا ما نرغب فيه. أظهر يسوع حكمة كبيرة لمّا وضع صلاة «الأبانا» على شفاهنا. إنّها صلاة فيها طلبات فقط، كما نعلم، ولكن الطلبات الأولى التي نلفظها كلّها موجّهة إلى الله. هي طلبات نسأل فيها لا أن يتحقّق مشروعنا، بل إرادته هو تجاه العالم. من الأفضل أن نترك الأمر له: «لِيُقَدَّسِ اسمُكَ، لِيَأتِ مَلَكوتُكَ، لِيَكُنْ ما تَشاء» (متّى ٦، ٩-١٠).

ويذكّرنا الرسول بولس أنّنا لا نعرف حتّى ما هو المناسب لنطلبه (رومة ٨، ٢٦). نحن نسأل من أجل احتياجاتنا والأشياء التي نريدها، «ولكن هل هذا مناسبٌ أكثر أم لا؟». يقول لنا بولس: نحن لا نعرف حتّى ما هو المناسب لنطلبه. عندما نصلّي يجب علينا أن نكون متواضعين: هذا هو السّلوك الأوّل للذّهاب إلى الصّلاة. مثلما توجد عادةٌ في أماكن كثيرة وهي كي تذهب للصّلاة في الكنيسة، تُغطّي النّساء رؤوسهنّ أو يأخذن الماء المقدّس ليبدأن الصّلاة. وهكذا يجب أن نقول لأنفسنا، قبل الصّلاة، ما هو مناسب أكثر، وهو أن يعطيني الله ما هو أنسب لي: هو يعلم. عندما نصلّي، يجب علينا أن نكون متواضعين، حتّى تكون كلماتنا حقًّا صلاة، وليس كلمات فارغة يرفضها الله. يمكننا أيضًا أن نصلّي مدفوعين بدوافع خاطئة: على سبيل المثال، لهزيمة العدو في الحرب، من دون أن نتساءل ما هو رأي الله في تلك الحرب. من السّهل أن نكتب على الراية «الله معنا». كثيرون يسرعون في التأكّيد أنّ الله معهم، لكن قليلون هم الذين يهتمّون للتأكّد هل هم فعلًا مع الله. في الصّلاة، الله هو من يجب أن يبدّلنا، ولسنا نحن نبدّل الله. هو التواضع. أنا أذهب لأصلّي، ولكن أنت يا ربّ، بدّل قلبي حتّى يطلب ما هو مناسب، ويطلب ما هو الأفضل

لحياتي الروحيّة.

ومع ذلك، يبقى الشكّ وحجرُ العثرة: عندما يصلّي الناس بقلب صادق، وعندما يطلبون خيراتٍ تتّفق مع ملكوت الله، وعندما تصلّي الأم من أجل طفلها المريض، لماذا يبدو أحيانًا أنّ الله لا يصغي؟ للإجابة على هذا السؤال، يجب علينا أن نتأمّل بهدوء في الأناجيل. قصص حياة يسوع مليئة بالصّلاة: كثير من الجرحى في الجسد والرّوح كانوا يطلبون منه الشّفاء. وبينهم من صلّى من أجل صديق لم يعد يستطيع المشي، أو هناك آباء وأمّهات جلبوا له أبناء وبنات مرضى... كلّها صلوات مشبعة بالمعاناة. إنّه جمع كبير يتوسّل ويقول: «ارحمنا!».

نرى أنّ استجابة يسوع في بعض الأحيان تكون فوريّة، وفي بعض الحالات الأخرى يتمّ تأجيلها إلى حين: يبدو أنّ الله لا يستجيب. لنفكّر في المرأة الكنعانيّة التي تتوسّل إلى يسوع من أجل ابنتها: يجب أن تلحّ هذه المرأة لفترة طويلة حتّى يُصغي يسوع إليها (را. متّى ١٥، ٢١-٢٨). لديها أيضًا التواضع لسماع كلام يسوع الذي بدا مهينًا قليلاً لها عندما قال: يجب ألّا نرمي الخبز للكلاب، لصغار الكلاب. لكن هذه المرأة لم يهمّها الإذلال: ما يهمّها هو صحّة ابنتها. فاستمرت تقول: «نعم، حتّى صغار الكلاب تأكل ما يسقط من المائدة»، وهذا أَسَرَّ يسوع. أعني الشجاعة في الصّلاة. أو نفكّر في المُقعد الذي حمله أصدقاؤه الأربعة: في البداية غفر يسوع خطاياه وبعد ذلك فقط شفاه في الجسد (را. مرقس ٢: ١-١٢). لذلك، في بعض الحالات، لا يكون حلّ المأساة فوريًّا. في حياتنا أيضًا، كلّ واحدٍ منّا عاش هذه الخبرة. لنتذكّر قليلًا: كمّ من مرّة طلبنا فيها نعمة أو معجزة، لنقل ذلك، ولم يحدث شيء. ثمّ، بمرور الوقت، استقرّت الأمور، ولكن بحسب أسلوب الله، الأسلوب الإلهيّ، وليس بحسب ما أردناه في تلك اللّحظة. إنّ زمن الله ليس زمننا.

في هذا الصّدد، شفاء ابنة يائيرس يستحقّ أن نفكّر فيه (را. مرقس ٥،

٢١-٣٣). أمامنا أب يركض لاهثًا: ابنته مريضة ولهذا السّبب طلب مساعدة يسوع. قَبِلَ المعلّم على الفور، ولكن أثناء ذهابهم إلى البيت، حدثَ شفاء آخر على الطّريق، وبعد ذلك جاء الخبر بأنّ الطّفلة قد ماتت. بدئ إذّاك أنّ كلّ شيء قد انتهى، لكن يسوع قال لأبيها: «لا تَخَفْ، آمِنْ فَقَط» (مرقس ٥، ٣٦). «استمرّ في إيمانك»: لأنّ الإيمان هو الذي يدعم الصّلاة. وبالفعل، سوف يوقظ يسوع تلك الطّفلة الصغيرة من نوم الموت. لكن لبعض الوقت، اضطرّ يائيرس أن يسير في الظلام، مع شعلة الإيمان فقط. يا ربّ، أعطني الإيمان! وأعطني أن ينمو إيماني! اطلبْ هذه النّعمة، أن تتحلّى بالإيمان. قال يسوع في الإنجيل إنّ الإيمان يحرّك الجبال. لكن، أن يكون لديك الإيمان بجديّة. يسوع، أمام إيمان الفقراء، وإيمان الناس، يستسلم ويشعر بحنان خاص أمام هذا الإيمان، ويصغي لهم.

حتّى الصّلاة التي يوجّهها يسوع إلى الآب في الجسمانيَّة تبدو غير مسموعة: «يا أَبتِ، إِن أَمكَنَ الأَمْرُ، أَبعِد عنِّي ما يَنتظِرُني». يبدو أن الآب لم يصغِ إليه. سيتعيّن على الابن أن يشرب كأس الآلام حتّى النّهاية. لكن سبت النّور ليس الفصل الأخير، لأنّ في اليوم الثّالث، أي يوم الأحد، ستكون القيامة. الشّرّ سيّدٌ في اليوم قبل الأخير: تذكّروا هذا جيّدًا. الشّرّ ليس سيّد في اليوم الأخير أبدًا، لا: بل في اليوم قبل الأخير، أي اللّحظة الأحلك من اللّيل، قبل الفجر مباشرة. هناك، في اليوم قبل الأخير، توجد التّجربة، حيث يُفهمنا الشّرّ أنّه انتصر: «هل رأيت؟ أنا انتصرت!». الشّرّ هو سيّدٌ في اليوم قبل الأخير: في اليوم الأخير هناك القيامة. لكنّ الشّرّ لن يكون أبدًا سيّد في اليوم الأخير: الله هو سيّدُ اليوم الأخير. لأنّ هذا اليوم هو لله وحده، وهو اليوم الذي تتحقّق فيه كلّ أشواق البشر للخلاص. لنتعلّم هذا الصّبر المتواضع في أن ننتظر نعمة الله، وننتظر اليوم الأخير. في كثير من الأحيان، يكون اليوم قبل الأخير سيّئًا للغاية، لأنّ المعاناة الإنسانيّة سيّئة. لكنّ الرّبّ موجود، وفي اليوم الأخير هو يحلّ كلّ شيء.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة في الصّلاة

الأربعاء ٢ يونيو/ حزيران ٢٠٢١

باحة القديس دامازُس

٣٦. يسوع مثال وروح كلّ صلاة

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء،صباح الخير!

تبيِّن لنا الأناجيل مدىٰ أهمية الصّلاة في علاقة يسوع مع تلاميذه. يظهر هذا منذ يوم اختيار أولئك الذين سيصبحون في ما بعد رسلًا. يضع لوقا اختيارهم في لحظات صلاة فيقول: «وفي تِلكَ الأَيَّامِ ذَهَبَ إِلىٰ الجَبَلِ لِيُصَلِّي، فأَحْيا اللَّيلَ كُلَّه في الصَّلاةِ لله. ولـمَّا طَلَعَ الصَّباح دعا تَلاميذَه، فاختارَ مِنهُمُ اثنَيْ عَشَرَ سَمَّاهم رُسُلاً» (٦، ١٢-١٣).اختارهم يسوع بعد ليلة من الصّلاة. يبدو أنّه لا يوجد معيار آخر في هذا الاختيار غير الصّلاة وحوار يسوع مع الآب. إذا نظرنا إلىٰ المستقبل وكيف سيتصرف هؤلاء الأشخاص، قد يبدو أنّ الاختيار لم يكن الأفضل لأنّهم جميعًا هربوا، وتركوه وَحده قبل الآلام، ولكن هذا هو بالضبط، ولا سيما حضور يهوذا، الخائن في المستقبل، الذي يثبت أنّ هذه الأسماء كانت مكتوبة في خطة الله.

تظهر الصّلاة في حياة يسوع باستمرار من أجل أصدقائه. أحيانًا يصبح الرسل مصدر قلق له، لكن يسوع، قبلهم من الآب، بعد أن صلّىٰ، وحملهم في قلبه، كما أعطاهم إياه الآب، في أخطائهم، وحتىٰ في عثراتهم. في كلّ هذا نكتشف كيف كان يسوع معلمًا وصديقًا ومستعدًّا دائمًا للانتظار بصبر توبة التلميذ وفهمهم ماذا يريد منهم. ذروة هذا الانتظار الصابر هو «نسيج» المحبّة التي نسجها يسوع حول بطرس. في العشاء الأخير قال له: «سِمعان سِمعان،

هُوذا الشَّيطانُ قد طَلَبَكُم لِيُغَرِبِلَكُم كَما تُغَرْبَلُ الحِنطَة. ولكِنِّي دَعَوتُ لَكَ أَلَّا تَفقِدَ إِيمانَكَ. وأَنتَ ثَبِّتْ إِخوانَكَ متىٰ رَجَعْتَ» (لوقا ٢٢، ٣١-٣٢). إنّه أمرٌ مثير للإعجاب أن نعلم أنّه، في وقت الفشل، في تلك اللّحظة لا تتوقف محبّة يسوع،- «لكن يا أبت، إذا كنت في خطيئة مميتة، فهل تستمر محبة يسوع؟ -نعم- وهل يستمر يسوع في الصّلاة من أجلي؟ -نعم- لكن إذا فعلت أشياء أكثر بشاعة وخطايا كثيرة، فهل يستمر يسوع في محبتي؟- نعم». إنّ محبّة يسوع وصلواته من أجل كلّ منا لا تتوقف، بل تزداد قوةً، ونزداد إيمانًا أنّنا إذاك نكون نحن في قلب صلاته! يجب أن نتذكر هذا دائمًا: يسوع يصلّي من أجلي، ويصلّي الآن أمام الآب ويريه الجروح التي حملها معه، ليُظهر له ثمن خلاصنا، إنّه الحبّ الذي غمرنا فيه. لكن كلّ واحد منا يسأل في هذه اللحظة: هل يسوع يصلّي من أجلي في هذه اللحظة؟ نعم. هذا ضمان كبير أعطي لنا.

تعود صلاة يسوع في موعدها المحدد في لحظة حاسمة من مسيرته، لحظة التحقّق من إيمان التلاميذ. لنصغ مرة أخرىٰ إلىٰ لوقا الإنجيلي: «واتَّفَقَ أَنَّهُ كانَ يُصَلِّي في عُزلَةٍ والتَّلاميذُ مَعَهُ فَسأَلَهم: «مَن أَنا في قَولِ الجُمـــوع؟» فأَجابوا: «يوحَنَّا المَعمَدان». وبَعضُهم يَقول: «إِيلِيَّا». وبَعضُهم: «نَبِيٌّ منَ الأَوَّلينَ قام». فقالَ لَهم: «ومَن أَنا في قَولِكُم أَنتم؟» فأَجابَ بُطرس باسم الجميع: «مسيحُ الله». فَنهاهم بِشِدَّةٍ أَن يُخبِروا أَحداً بِذلك» (٩، ١٨-٢١). لحظات التحوّل الكبرىٰ في رسالة يسوع تسبقها دائمًا صلاةولكنّها ليست صلاة عابرة، بل صلاة حارّة وطويلة.في تلك اللحظات كانت دائمًا الصّلاة. هذا التحقّق من الإيمان يبدو وكأنّه هو الهدف، بل هو نقطة انطلاق جديدة للتلاميذ، لأنّه منذ ذلك الحين، يبدو أنّ يسوع قد انتقل برسله إلىٰ مستوىٰ جديد من المعرفة، فكلّمهم بصراحة عن آلامه وموته وقيامته.

من هذا المنظور، الذي يثير غريزيًا النفور، لدىٰ التلاميذ، وفينا نحن أيضًا الذين نقرأ الإنجيل، فإنّ الصّلاة هي الينبوع الوحيد للنور والقوة. من

الضروري أن نصلّي بقوة أكبر في كلّ مرة تبدأ طريقنا بالصعود الشاق.

وفي الواقع، بعد أن أعلن للتلاميذ ما ينتظره في أورشليم، وقع حدث التجلّي. «مَضىٰ يسوع بِبُطرسَ ويوحنَّا ويعقوبَ وصعِدَ الجَبَلَ لِيُصَلِّي. وبَينَما هو يُصَلِّي، تَبَدَّلَ مَنظَرُ وَجهه، وصارَت ثِيابه بِيضًا تَتَلألأُ كَالبَرْق. وإِذا رَجُلانِ يُكَلِّمانِه، وهُما مُوسىٰ وإِيلِيَّا، قد تَراءَيا في المَجد، وأَخَذا يَتكلَّمانِ علىٰ رَحيلِه الَّذي سَيتِمُّ في أُورَشَليم» (لوقا ٩، ٢٨-٣١)، أي الآلام. إذًا وقع هذا الحدث الذي سبق ظهور مجد يسوع في الصّلاة، بينما كان الابن غارقًا في شركة مع الآب وقد قَبِلَ إرادته وخطته الخلاصية، قبولًا كاملًا في الحبّ. ومن تلك الصّلاة انطلقت كلمة واضحة للتلاميذ الثلاثة المعنيّين: «هذا هوَ ابنِيَ الَّذي اختَرتُه، فلَه اسمَعوا» (لوقا ٩، ٣٥).من الصّلاة تأتي الدعوة أن نسمع يسوع، دائمًا من الصّلاة.

من هذه الجولة السريعة خلال الإنجيل، نتعلّم أنّ يسوع لا يريدنا فقط أن نصلّي كما هو صلّىٰ، ولكنّه يؤكد لنا أنّه حتىٰ لو كانت محاولاتنا للصلاة لا جدوىٰ لها وغير فعّالة، يمكننا دائمًا أن نعتمد علىٰ صلاته. يجب أن ندرك أنّ: يسوع يصلّي من أجلي. ذات مرة، قال لي أسقف إنّه في لحظة سيئة جدًا من حياته، في لحظة محنة كبيرة، لحظة مظلمة، نظر إلىٰ الأعلىٰ في البازيليكا ورأىٰ جملة مكتوبة وهي: «أنا بطرس سأصلّي من أجلك». وهذا ما منحه القوّة والرّاحة. وهذا يحدث في كلّ مرة يعلم فيها كلّ منا أنّ يسوع يصلّي له. يسوع يصلّي من أجلنا. وفي هذه اللحظة. تذكروا أنّه: عندما يكون هناك بعض الصعوبات، وعندما تكون في دائرة الشرود: يسوع يصلّي من أجلي. لكن يا أبت هل هذا صحيح؟ هذا صحيح، لقد قال عن ذلك بنفسه. لا ننسىٰ أنّ ما يدعم كلّ منا في الحياة هو صلاة يسوع أمام الآب لكلّ واحد منا، المعروفين له بالاسم واسم العائلة، وبذلك يجعل الآب يرىٰ الجروح التي هي ثمن خلاصنا.

حتىٰ لو كانت صلواتنا متلعثمة فقط، ولو كان إيماننا مترددًا، يجب ألّا

نتوقف أبدًا عن الثقة بيسوع. لا أعرف كيف أصلّي لكنّه يصلّي من أجلي. صلاة يسوع ترفعنا، ومعه تستند صلواتنا الخجولة على جناحَيْ نسر فترتفع إلى السّماء. لا تنسوا هذا الأمر: يسوع يصلّي من أجلي، الآن؟ نعم الآن. وعند لحظة المحنة والخطيئة، حتى في تلك اللحظة، يسوع يصلّي من أجلي بمحبّة كبيرة.

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة في الصّلاة

الأربعاء ٩ يونيو/ حزيران ٢٠٢١

باحة القديس دامازُس

٣٧. الثّبات في المحبّة

الإخوَةُ والأخواتِ الأعزّاء، صباح الخير!

سنتكلّم في هذا التعليم قبل الأخير في الصّلاة على المثابرة في الصّلاة. إنّها دعوة، لا بَل هي أمر يأتينا من الكتاب المقدّس. تبدأ الرحلة الروحيّة «للحاجّ الروسيّ» عندما يقرأ عبارة القدّيس بولس في الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيقي: «لا تَكُفُّوا عن الصَّلاة، أُشكُروا على كُلِّ حال» (٥، ١٧-١٨). تصدم كلمة الرسول ذلك الرجل ويتساءل: كيف يمكن أن نصلّي دون انقطاع، طالما أنّ حياتنا مجزّأة في عديدٍ من اللحظات المختلفة، والتي لا تجعل التّركيز دائمًا ممكنًا. من هذا السؤال يبدأ بحثه الذي سيقوده إلى اكتشاف ما يسمّى بصلاة القلب. وتتكوّن من التّكرار، بإيمان: «أيّها الرّبّ يسوع المسيح، ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ!». إنّها صلاة بسيطة ولكنّها جميلة جدًّا. إنّها صلاة تتكيّف شيئًا فشيئًا مع إيقاع النَّفَس وتمتدّ على طول اليوم. في الواقع، لا يتوقف التنفُّس أبدًا، حتّى أثناء نومنا؛ والصّلاة هي نَفَسُ الحياة.

إذن، كيف يمكن أن نحافظ على حالة الصّلاة دائمًا؟ يقدّم لنا التّعليم المسيحي اقتباسات جميلة، مأخوذة من تاريخ الحياة الروحيّة، والتي تؤكّد على الحاجة إلى الصّلاة المستمرّة، والتي هي ركيزة الحياة المسيحيّة. سأتناول بعضها.

يؤكّد الرّاهب إفاغريوس البنطي: «لم يُفرض علينا أن نعمل ونسهر ونصوم دائمًا، - لا، هذا لم يُفرَض علينا - بينما أُلزمنا بشريعة الصّلاة بلا انقطاع»

(رقم ٢٧٤٢). علينا أن نصلّي من قلبنا. لذلك، توجد في الحياة المسيحيّة حرارة، ويجب ألّا تتوقّف أبدًا. إنّها تُشبه إلى حدّ ما تلك النّار المقدّسة التي كانت تُحفَظ في المعابد القديمة، والتي كانت تحترق دون انقطاع، وكان على الكهنة أن يحافظوا عليها مشتعلة. هوذا: يجب أن تكون فينا أيضًا نارٌ مقدّسة تشتعل باستمرار ولا يطفئها شيء. وهذا ليس بالأمر السّهل، لكن يجب أن يكون هكذا.

القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم، راعٍ آخر منتبه إلى الحياة العمليّة كان يعظ فيقول: «حتّى في السّوق أو في نزهة منفردة يمكن أن تصلّي صلاة متواصلة وحارّة، وكذلك وأنت جالس في متجرك للشّراء أو للبيع، وكذلك حين تطبخ» (را. رقم ٢٧٤٣). هي صلوات صغيرة، على سبيل المثال: «يا ربّ ارحمني»، «يا ربّ أعنّي». لذلك، فالصّلاة هي نوع من سطر موسيقيّ، حيث نضع لحن حياتنا. إنّها لا تتناقض مع الاجتهاد اليومي، ولا تتعارض مع الواجبات والمواعيد الصغيرة العديدة، بل هي المكان الذي يجد فيه كلّ عمل معناه، وسببه وسلامه.

بالتأكيد، فإنّ وضع هذه المبادئ موضع التّنفيذ ليس بالأمر السّهل. يمكن للأب والأم، المشغولين بألف مهمّة، أن يشعروا بالحنين إلى فترة من حياتهم، كان من السّهل العثور فيها على أوقات متقطّعة ومساحات للصّلاة. ثمّ يأتي الأولاد، والعمل، وأمور الحياة العائليّة، والأهل الذين أصبحوا مسنّين... فيتولّد انطباع بعدم القدرة أبدًا على تتميم كلّ شيء. لذلك من الجيّد أن نفكّر أنّ الله، أبونا، الذي يجب أن يعتني بالكون بأسره، يتذكّر كلّ واحد منّا دائمًا. لذلك، يجب علينا نحن أيضًا أن نتذكّره دائمًا!

يمكننا بعد ذلك أن نتذكّر أنّ العمل في الرّهبنة المسيحيّة كان يحظى دائمًا بشرف كبير، ليس فقط لأنّه واجب أخلاقي للاعتناء بالنّفس وباللآخرين، ولكن أيضًا من أجل الحفاظ على نوع من التوازن، التوازن الداخلي: من الخطر

على الإنسان أن ينمّي اهتمامات نظريّة قد تُفقده الاتّصال مع الواقع. يساعدنا العمل على البقاء متّصلين مع الواقع. يَدَا الرّاهب المضمومتان للصّلاة تحمل آثار المجرفة والمعول. عندما قال يسوع لمرتا، في إنجيل لوقا (را. ١٠، ٣٨-٤٢)، إنّ الشيء الوحيد الضّروري حقًا هو الإصغاء إلى الله، لم يُرِدْ أن يقلّل من قيمة الخدمات العديدة التي كانت تؤدّيها باهتمام كبير.

كلّ شيء في الإنسان «ثنائي»: جسدنا متناسق، لدينا ذراعان، وعينان، ويدان اثنتان... وهكذا أيضًا العمل والصّلاة، إنّهما يكمّلان بعضهما البعض. الصّلاة - والتي هي «نَفَسُ» كلّ شيء - تبقى كخلفيّة حيويّة للعمل، حتّى في اللحظات التي لا تكون فيها ظاهرة صراحة. إنّه لأمر غير إنسانيّ أن ننغمس في العمل لدرجة أنّنا نصبح غير قادرين لأن نجد وقتًا للصّلاة.

في الوقت نفسه، الصّلاة الغريبة عن الحياة ليست صحيّة. الصّلاة التي تبعدنا عن جوهر الحياة تصبح روحانيّة أو أسوأ من ذلك، طقوسيّة. لنتذكّر أنّ يسوع، بعد أن أظهر مجده للتلاميذ على جبل طابور، لم يُرِدْ أن يطيل تلك اللحظة، لحظة الانخطاف، بل نزل معهم من الجبل واستأنف رحلته اليوميّة. لأنّ هذه الخبرة كان يجب أن تبقى في قلوبهم كنور وقوّة لإيمانهم، وأيضًا كنور وقوّة للأيّام التي كانت ستأتي قريبًا: أي الآلام. وهكذا، فإنّ الأوقات المكرّسة للمكوث مع الله تُحيي الإيمان، والإيمان يساعدنا في واقع الحياة العمليّة، ويغذّي أيضًا الصّلاة دون انقطاع. في هذه الدائرة، بين الإيمان والحياة والصّلاة، تظلّ نار المحبّة المسيحيّة، والتي ينتظرها الله منّا، مشتعلة.

لنردّد كلّنا سويًّا الصّلاة البسيطة والتي من الجميل جدًّا أن نرددها أثناء اليوم: «أيها الرّبّ يسوع المسيح، ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ!».

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامّة في الصّلاة

الأربعاء ١٦ يونيو/ حزيران ٢٠٢١

باحة القديس دامازُس

٣٨. صلاة يسوع الفصحيّة من أجلنا

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

ذكرنا مرارًا في هذه السلسلة من التّعليم أنّ الصّلاة هي إحدىٰ أوضح المِيزَات في حياة يسوع. كان يسوع يصلّي، وكان يصلّي كثيرًا. في مسيرة رسالته، كان يسوع غارقًا في الصّلاة، لأنّ الحوار مع الآب كان النواة المشتعلة في كلّ وجوده.

تشهد الأناجيل كيف أصبحت صلاة يسوع أكثر عمقًا وقوّة في ساعة آلامه وموته. تشكّل هذه الأحداث التي بلغت ذروتها في حياته النواة المركزية للكرازة المسيحيّة: تلك الساعات الأخيرة التي عاشها يسوع في أورشليم هي قلب الإنجيل ليس فقط لأنّ الإنجيليّين أعطوا مساحة أكبر نسبيًا لهذه الرواية، بل أيضًا لأنّ حادثة الموت والقيامة، ألقت النور، مثل ضوء البرق، علىٰ بقية حياة يسوع. فهو ليس فقط محبًّا للبشر، يهتم لآلامهم، وأمراضهم: بل كان، وهو، أكثر من ذلك بكثير. وفيه لا يوجد الصّلاح فقط، يوجد ما هو أكثر من ذلك، يوجد الخلاص، وليس الخلاص لفترة عابرة- الخلاص من المرض أو من لحظة إحباط - بل الخلاص الشامل، الخلاص المسيحانيّ، الذي يعطي الأمل بنصر الحياة علىٰ الموت، بصورة نهائية.

لذلك، نجد يسوع، في أيام فصحه الأخير، غارقًا بصورة كاملة في الصّلاة. صلّىٰ يسوع في بستان الجسمانية، وهي صلاة مأساة، وقد عانىٰ من شدّةٍ

مهلكة. ومع ذلك، في تلك اللحظة بالذات، توجّه يسوع إلى الله وناداه «أَبَّا»، يا أبتِ (را. مرقس ١٤، ٣٦). تعبّر هذه الكلمة الآرامية – والتي كانت لغة يسوع – عن الألفة والثقة. قالها في الوقت الذي كان يشعر فيه أنّ الظلام يزداد حوله. واجتاز يسوع ذلك الظلام بهذه الكلمة الصغيرة: أَبَّا، يا أبتِ.

صلّى يسوع أيضًا على الصّليب، لما كان محاطًا بشكل رهيب بصمت الله. ومع ذلك، للمرة الثانية، ظهرت على شفتيه كلمة «أبت». إنّها الصّلاة الأكثر جرأة، لأنّ يسوع على الصّليب هو الشفيع المطلق: يصلّي من أجل الآخرين، ويصلّي من أجل الجميع، حتى من أجل الذين أدانوه، ولم يَقِفْ أحد إلى جانبه، ماعدا المجرم المسكين. كان الجميع ضده أو غير مبالين، فقط ذلك المجرم هو الذي اعترف بسلطانه. وقال يسوع: «يا أَبَتِ اغفِرْ لَهم، لِأَنَّهُم لا يَعلَمونَ ما يَفعَلون» (لوقا ٢٣، ٣٤). في وسط المأساة، وفي ألم النفس والجسد القاسي، صلّى يسوع بكلمات المزامير، مع فقراء العالم، وخاصة مع أولئك المنسيّين من الجميع، ولفظ كلمات المزمور ٢٢ الموجعة: «إِلهي إِلهي، لماذا تركتَني؟» (الآية ٢). لقد شعر أنّه متروك فصلّى. على الصّليب، اكتملت هبة الآب، الذي قدّم محبّة ابنه، أي أنّه أتمّ خلاصنا. ومرة أخرى، ناداه يسوع: «إلهي»، «يا أَبَتِ، في يَدَيكَ أَجعَلُ رُوحي!». كلّ شيء كان صلاة في الساعات الثلاث على الصّليب.

صلّى يسوع إذًا في الساعات الحاسمة من آلامه وموته. وبالقيامة استجاب الآب صلاته. كانت صلاة يسوع حارة وفريدة وأصبحت نموذجًا لصلواتنا. صلّى يسوع من أجل الجميع، وصلى أيضًا من أجلي، ومن أجل كلّ واحد منكم. يمكن لكلّ واحد منّا أن يقول: «صلّى يسوع على الصّليب من أجلي». لقد صلّى من أجلي. ويمكن أن يقول يسوع لكلّ واحد منا: «صلّيت من أجلك في العشاء الأخير، وعلى خشبة الصّليب». حتى في أكثر معاناتنا ألمًا، لسنا أبدًا وحدنا. صلاة يسوع معنا. «والآن، أيّها الآب، هنا، نحن الذين نصغي إلى هذا، هل صلّى يسوع من أجلنا؟». نعم، واستمر يصلّي حتى تساعدنا كلمته على

المضي قدمًا. صلّوا وتذكروا أنّ يسوع يصلّي من أجلنا.

يبدو لي أن هذا أجمل شيء يجب أن نتذكره. هذا هو التّعليم المسيحي الأخير في سلسلة التَّعليم في الصَّلاة. علينا أن نتذكر أنّ نعمة الصّلاة هي أنّنا لسنا فقط نصلّي، ولكن، إذا جاز التعبير، «لقد صُلّي من أجلنا»، وجاء ذكرنا من قَبل في حوار يسوع مع الآب في شركة الرّوح القدس. صلّى يسوع من أجلي، ويمكن لكلِّ واحد منا أن يضع هذا الأمر في قلبه. لا تنسوا هذا الأمر أبدًا، حتى في الأوقات الصّعبة، جاء ذكرنا من قَبل في حوار يسوع مع الآب في شركة الرّوح القدس. نحن قد قُبلنا في حوار يسوع مع الآب، وفي شركة الرّوح القدس أرادنا الله في المسيح يسوع، وحتى في ساعة آلامه وموته وقيامته تمَّ تقديم كلّ شيء عنّا. ولم يبقَ لنا إذًا في الصّلاة والحياة، إلّا أن نتحلّى بالشجاعة والرجاء وأن نشعر بهذه الشجاعة وهذا الرجاء بصلاة يسوع القويّة ونسير قدمًا. لتكُن حياتنا تمجيدًا لله في اليقين أن يسوع يصلّي إلى الآب من أجلي. يسوع يصلّي من أجلي.

الفهرس

١. سر الصلاة..... ٣
٢. صلاة المسيحي..... ٦
٣. سر الخلق..... ٩
٤. صلاة الأبرار..... ١٢
٥. صلاة إبراهيم..... ١٦
٦. صلاة يعقوب..... ٢٠
٧. صلاة موسى..... ٢٣
٨. صلاة داوُد..... ٢٧
٩. صّلاة إيليّا..... ٣٠
١٠. صلاة المزامير ١..... ٣٣
١١. صلاة المزامير ٢..... ٣٧
١٢. يسوع رجل صلاة..... ٤١
١٣. يسوع معلّم الصّلاة..... ٤٥
١٤. المثابرة على الصّلاة..... ٤٩
١٥. العذراء مريم المرأة المصلِّيَة..... ٥٢
١٦. صلاة الكنيسة الناشئة..... ٥٦
١٧. البركة..... ٦٠
١٨. صلاة الطلب..... ٦٤
١٩. صلاة الشفاعة..... ٦٨
٢٠. صلاة الشكر..... ٧٢
٢١. صلاة التسبيح (الحمد)..... ٦٧
صلاة من أجل وَحدة المسيحيّين..... ٨٠

٢٢. الصّلاة مع الكتاب المقدس.....٨٣
٢٣. الصّلاة في الليتورجيا.....٨٧
٢٤. الصّلاة في الحياة اليوميّة.....٩٠
٢٥. الصّلاة والثالوث الأقدس ١.....٩٤
٢٦. الصّلاة والثالوث الأقدس ٢.....٩٧
٢٧. الصّلاة في الشَّرِكة مع مريم.....١٠١
٢٨. الصّلاة في الشركة مع القدّيسين.....١٠٥
٢٩. الكنيسة معلّمة للصّلاة.....١٠٩
٣٠. الصّلاة الشفويّة.....١١٣
٣١. التأمّل.....١١٧
٣٢. صلاة المشاهدة.....١٢١
٣٣. جهاد الصّلاة.....١٢٤
٣٤. التّشتت والجفاف والكسل الرّوحيّ.....٩٢١
٣٥. اليقين في أن يُستجاب لنا.....١٣٣
٣٦. يسوع مثال وروح كلّ صلاة.....١٣٧
٣٧. الثّبات في المحبّة.....١٤١
٣٨. صلاة يسوع الفصحيّة من أجلنا.....١٤٤

من موقع الفاتيكان باللغة العربية